شرح

أصول العقائد الدينية

تأليف

الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي

رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ

عبد الله بن محمد بن عبد الله الغنيمان

المدرس في المسجد النبوي

اعتنى به وأشرف على طبعه

عبد العزيز بن عمدو البليهي

طبعة منقحة

دار القبس للنشر والتوزيع

شرح

أصول العقائد الدينية

ⓒ عبد العزيز بن حمود بن عبد الرحمن البليهي، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغنيمان، عبد الله محمد عبد الله

شرح أصول العقائد الدينية

عبد الله محمد عبد الله الغنيمان؛ عبد العزيز حمود البليهي

ط١ - الرياض، ١٤٤٣ هـ

١٤٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ١-٨٧٠٢-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١ - العقيدة الإسلامية أ. البليهي، عبد العزيز حمود (محقق) ب. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٣/٤٠٦٢

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٤٠٦٢

ردمك: ١-٨٧٠٢-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ

تصميم وإخراج

مدار القبس للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

٠٠٩٦٦ ١١ ٢٦٨١٠٤٥

@madarulqabas

madarulqabas@gmail.com

www.madarulqabas.com

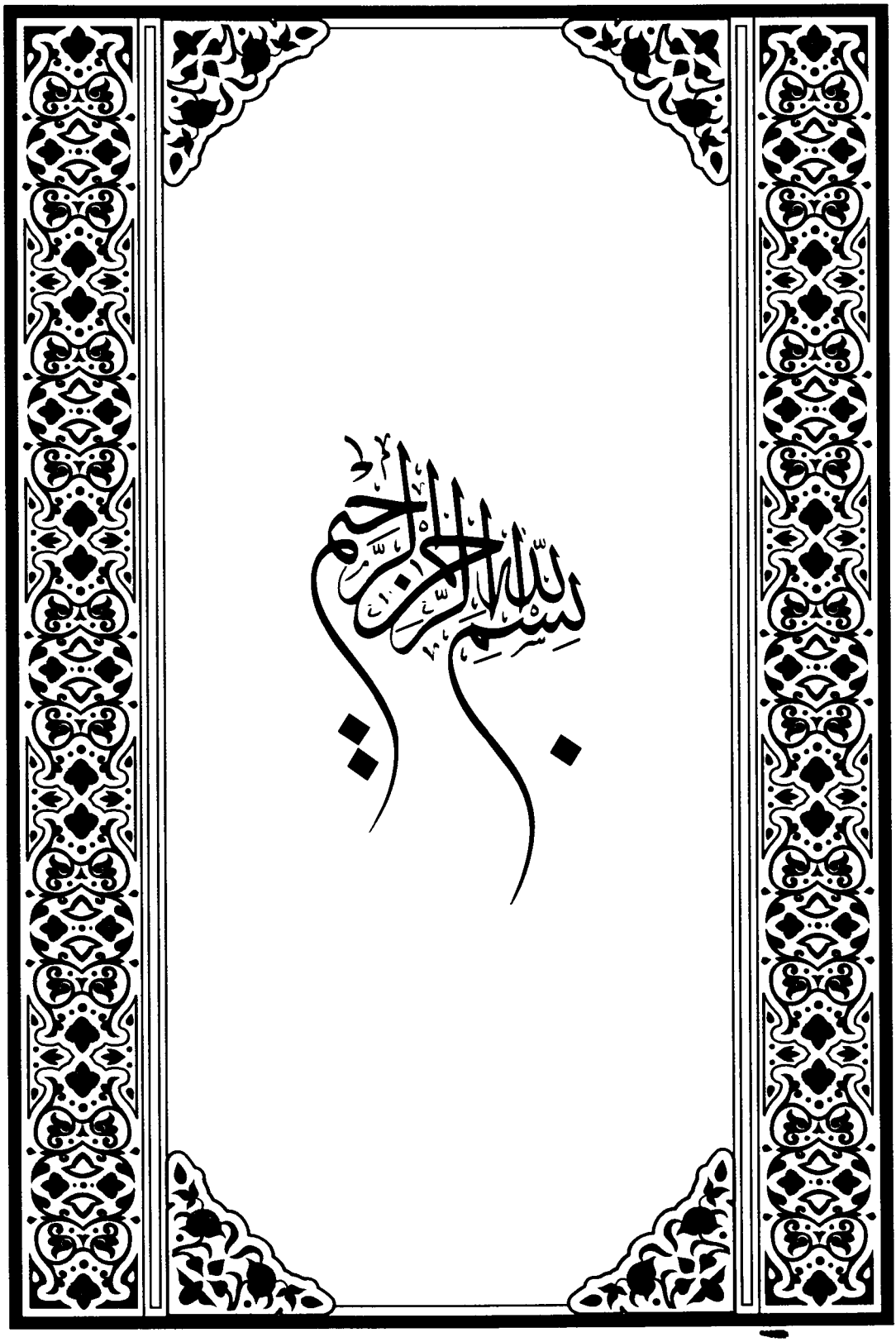
بسم الله الرحمن الرحيم

Abdullah B. Mohd. Al-Ghunaiman
Profit Mohd. Mosque's Teacher
Madina Munawarah
Propaganda College
Iclamic League

عبـــد الله بن محمد الغنيمان
المدرس بالمسجد النبوي الشريف
المدينة المنورة
كلية الدعـــوة ـ الجامعة الاسلامية

Date ....

التاريخ ٢٨/١٢/١٤٤١هـ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه
وبعد فقد علقت على رسالة الشيخ عبد الرحمن السعدي
«أصول العقائد الدينية» في إحدى الدورات العلمية وقام
بتفريغها الأخ عبد العزيز بن حمود البليهي جزاه الله خيرا
واستأذنني بالقيام بطباعتها ونشرها وقد أذنت له في ذلك
رجاء نفعها والله تعالى الموفق وكتبه عبد الله بن محمد الغنيمان

عبد الله محمد الغنيمان

مُقَدِّمةُ المُعتَني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبَعدُ:

فهذا شرحٌ لكتاب «**أصول العقائد الدينية**» للعلَّامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو عبارة عن دروس علمية ألقاها فضيلة شيخنا عبد الله بن محمد الغُنَيمان ـ حفظه الله ـ في بعض الدورات العلمية[١]، فأفاد فيه وأجاد ـ جزاه الله خيرًا ونفع به ـ، فُرِّغَت وجُمِعت ورُوجِعَت، وعُزِيَت الآيات، وخُرِّجت الأحاديث، وعُزِيَت الأقوال، وغير ذلك[٢]، فللّه الحمد والمنَّة.

قال العلَّامة عبد الله بن عبد الرحمن البسَّام رَحِمَهُ اللَّهُ: «لشيخنا العلَّامة الفهَّامة المفسِّر المحدِّث الأصولي المتقِن المتفَنِّن الشيخ عبد الرحمن بن

---

(١) هذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ هو خلاصة شرح شيخنا عبد الله الغنيمان ـ حفظه الله ـ على كتاب «أصول العقائد الدينية للعلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ»، وقد شرحه في محافظة جُدَّة بجامع الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ في شهر شعبان من عام ١٤٣٤هـ، وغير ذلك.

(٢) وقد سبق أن طُبِعَ هذا الشرح؛ حيث تولَّت طباعتَه دارُ طيبة الخضراء للنشر والتوزيع بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ، ولكنها طبعة مُستعجَلة، والمعتمدة هذه الطبعة التي بين أيدينا.

ناصر السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ غنيٌّ عن التعريف والتنويه؛ فقد تناوله العلماء، وتناولوا كتُبَه واتجاهاتِه العِلميَّةَ بالدراسات والبحوث، وصنَّفوا في حياته ومؤلَّفاته وبحوثه العلمية والعَقَدية الرسائلَ الكِبارَ والبحوثَ الطِّوالَ، وتُرجِمَ له في صَدْر غالِبِ ما طُبع من مؤلَّفاته، حتى صار عَلَمًا بارزًا لا تخفى حياتُه وأحواله الطَّيِّبة على أحد من قرَّاء العربية.

وشيخُنا العلَّامة ضرَب في كل علم من العلوم الشرعية وفي كل فن من الفنون العربية بسهمٍ صائبٍ وحظٍّ وافر... وصنَّف في التوحيد بأقسامه الثلاثة، وردَّ على أصحاب المقالات المنحرفة والعقائد الفاسدة، ووضَّح عقيدة أهل السنة والجماعة، وقرَّرها بما لا مزيد عليه من البيان والتوضيح، وثبَّت معانيَها ومنهجَها بالحُجَج القوية والبراهين القاطعة، وتتبَّع الأحكامَ الشرعية الفرعية؛ فقرَّب بعيدها، ويسَّر عسيرها، وفصَّل أقسامها، وميَّز متشابهها، وجمَع أطرافها وأنواعها بعبارة واضحة وأسلوب سهل ميسَّر يستفيد منه كل قارئ، ثم إنه أيَّد من تلك الأحكام ما يعضِّدُه الدليل ويرتضيه التعليل، وبيَّن ضعيفَ الروايات المخالفة لتلك الأقوال الصحيحة والأدلة القوية.

وهكذا؛ فجميع مؤلَّفات شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ مُستقاة من النصوص الشريفة ومواردها الصافية العذبة... فالمؤلِّفُ ـ رحمه الله تعالى ـ هضَم المعلومات حتى صارت جزءًا من لحمه ودمه، فصار يتكلم بها ويكتبها كأنه يتنفَّسها؛ فكانت عباراته وأسلوبه في أداء المعلومات أمرًا خاصًّا به، ليس فيها أثر للتقليد والمحاكاة، والتكثُّرِ بالنقل والتضمين، وإنما هي مَصوغة مما نضج في ذهنه وفكره، وفتَقَته عبقريَّتُه وإبداعه؛ فهذا هو السبب فيما ملكه من المعاني المبتَكَرة، فأخرجه بأسلوب جديد وثوب متشَبِّب؛ فنسأل الله تعالى له المغفرة والرضوان،

والفوز بأعالي الجِنان؛ على ما بذله في سبيل دينه، وعاناه في نشر عقيدته السلفية النقية»[١].

قال العلَّامة عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الرسالة: «فقد اطَّلَعتُ عليها مخطوطةً بقلم المؤلِّف المعروف لدينا، وتأملتُها فوجدته قد بناها على خمسة أصول:

الأصل الأول: التوحيد

الأصل الثاني: الإيمان بجميع الأنبياء خصوصًا نبيَّنا محمدًا ﷺ.

الأصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر.

الأصل الرابع: مسألة الإيمان.

الأصل الخامس: طريقة أهل السنة والجماعة في العلم والعمل.

ثم ختمها بالحثِّ على الاستعانة بالعلم النافع والعمل الصالح، وأرَّخها في رمضان سنة ١٣٥٧هـ، فجاءت ـ بحمد الله ـ تحفةً لطيفة في أصول الدين بمثابة متن مختصر، وقد وعد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يبسُط الكلام عليها ويوضِّحها بأدلتها إن يسَّر الله وفسح له في الأجل، ولكنه اخترمته المنية قبل الأمنية؛ فعسى اللهُ أن يهيِّئ من إخواننا ومشايخنا من يقوم بشرحها والتفريع عليها، واستيفاء أدلتها، كما ذكره المؤلف؛ فإن هذا من أفضل الأعمال وأكمل الخصال...» اهـ[٢].

والشكر أولًا وآخرًا لله ربي، كما أشكر كل من ساعدني في ذلك،

---

(١) مقدمة كتاب «مجموع الفوائد واقتناص الأوابد» تأليف العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، اعتنى به الشيخ سعد الصميل حفظه الله، طبعة دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) ينظر: مقدمة كتاب «أصول العقائد الدينية للعلامة السعدي» تحقيق الشيخ مساعد السعدي حفظه الله (ص٣ ـ ٤)، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

وأخصُّ منهم الإخوة في مكتب الشيخ بالمدينة النبوية[١]، أسأل الله أن يجزيهم عني خير الجزاء.

هذا، ونسأل الله العليَّ القدير أن يغفرَ للعلَّامة عبد الرحمن السعدي، ويتغمَّدَه بواسع رحمته، كما نسأله ﷻ أن يجزيَ شيخنا خير الجزاء، وأن يبارك له في عمره وعلمه وعمله، ويصلح له ذريته، وأن يجعلنا وإياهم هُداةً مهتدين؛ إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

وإنْ تَجِدْ عَيبًا فَسُدَّ الخَلَلَا فَجَلَّ مَنْ لا عَيبَ فِيهِ وَعَلا

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه
عبد العزيز بن حمود البليهي
a.h.albalhe@gmail.com

(١) hhks1999@gmail.com

❁ **قال الشيخ** رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وأتباعِه إلى يوم الدين؛ **أما بعد:**

فهذا مختصرٌ جدًّا في أصول العقائدِ الدينية،...................

بسم الله الرحمٰن الرحيم... نحمدُ الله، ونستعينُه، ونعوذُ به من شرور أنفسِنا ومن سيئات أعمالِنا، من يهْدِه الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِلِ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته، وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ **أما بعد:**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فهذا مختصرٌ جدًّا).**

الاختصار: هو الاقتصار على الأمور المهمَّة بالإشارات، وليس بالبسط والتطويل، وفائدته: استيعاب المعلومات وحفظها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فهذا مختصرٌ جدًّا في العقائد الدينية).**

العقائد لها أصول ولها فروع، وأصولها هي التي تتفرع منها المسائل الكثيرة التي اختلف فيها العلماء. ولا خلاف في الأصول؛ فهي ثابتة في الكتاب والسُّنَّة.

والعقائد جمع عقيدة، وعقيدةُ الإسلام واحدة لا تختلف، وإنما قصد رَحِمَهُ اللَّهُ بذلك أنها أمورٌ متعددة؛ ولهذا جعلها أصولًا.

وهذا الذي اختصره الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يدلُّ على عِلْمِه وعلى تبحُّرِه في علم العقيدة وغيرها، وقد عُرف بأنه علَّامة، فهو من الراسخين في العلم.

والأصولِ الكبيرة المهمة، .....

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والأصول الكبيرة والمهمة).

الأصول: هي التي يُرْجَعُ إليها، ويكون أصلها ثابتًا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومعلومٌ أنَّ أول ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وكذلك إخوانه المرسلون: هو عبادة الله وحده، وهذا هو الأصل، وما عدا ذلك يكون استدلالًا على هذا الأصل، كما سيأتي.

وقد كان ﷺ يقول للناس: «**قولوا لا إله إلا الله**»[1]، وكذلك كان يقول إخوانه المرسَلون لأُممهم، كما ذكر الله ﷻ لنا في كتابه؛ قال ﷻ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله»؛ فمعنى قوله ﷻ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أي: «إلا الله»، ومعنى قوله ﷻ: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ معناها: «لا إله». وهي مهمَّةٌ جدًّا؛ لأن السعادة والسلامة من الشقاء والعذاب تتوقفان على معرفة ذلك والعمل به، فالمعرفة لا تكفي وحدها، وإنما لا بدَّ من العمل، وربما يكون العلم مع عدم العمل أشد عذابًا ممن لا يعلم.

والتوحيد لا يختلف، لكن الذي يختلف هو أساليب العلماء وترتيبهم وتبويبهم، وقد يكون عالمٌ أقدر مِن آخَر على البيان والإيضاح، وقد يكون عند أحدهم من الترتيب والتبويب ما ليس عند الآخر.

فمثلًا: قد تَجِدُ بعضُ الأمور، وهي مفهومة في العقائد؛ لأن حوادث الناس لا تنتهي، والكتاب والسُّنَّة لا ينصَّان على كل حادثةٍ بعينها، وإنما هي كليات وجوامع، والله علَّام الغيوب، جعل كتابه صالحًا كافيًا للخلق إلى قيام الساعة، وإنما يختلف الناسُ في فهومهم في هذا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٠٢٣).

.....

والتوحيد هو الأصل في هذا، وقد بُيِّن الأصل ووُضِّح؛ فقد وضَّحه الله ﷻ غاية الإيضاح، وإن كان غير واضح لبعض الناس، فيحتاجون إلى شرحٍ وبيان.

وقد اختلف الناس في تعريف التوحيد اختلافًا حسَب مناهجهم، وحسَب علومهم واتصالها بالحقائق؛ فالتوحيد عند الفلاسفة هو التوحيد المطلق، بشرط الإطلاق، وهو لا حقيقة له.

ومعنى الإطلاق: أنه لا يضاف إلى شيءٍ أصلًا، ومن المعلوم أن هذا لا وجود له. فتوحيدهم هو الإلحاد المطلق من كل وجه!

ثم يَتْبع هؤلاء بعضُ الصوفية أصحاب وَحدة الوجود، أو أصحاب الحلول، الذين يقولون: إنهم يُوحِّدون الواحد، وأن الواحد ما وحَّده من قال بأنه واحد؛ لأن الوجود عندهم واحد، لا فرق بين خالق ومخلوق[1]، وتوحيد كل مُوحِّد إلحاد عندهم!

وهؤلاء توحيدهم قريب من توحيد الفلاسفة، أو هو نفسه، كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ومعنى ذلك عندهم أنك لا تُفرِّق في التوحيد بين خالقٍ ومخلوق، والتفريق هو الشرك، فعندهم أنَّ المشركين أخطؤوا؛ حيث خَصُّوا بعض المعبودات، مثل اللَّات والعُزَّى، ومناة، والأحجار والأشجار، وغيرها. أما لو عمَّمُوا وعبدوا كل شيءٍ لكانوا على صواب!

وتوحيد المتكلمين: هو الاستدلالات العقلية على وجود الله ﷻ، ويزعمون أنهم بتوحيدهم هذا يُقررون العقائد، ويُبطلون إلحاد الملحدين،

---

(١) ينظر: جامع الرسائل لابن تيمية (ص١٦٤)، وشرح العقيدة الأصفهانية (ص١٧٨)، والنبوات لابن تيمية (٢/ ٦٣٣).

.....

وهذا صحيح؛ لكونهم يستدلُّون على أنَّ المُلحِد مخطئٌ وضال؛ لأنَّ استدلالاتِهم كلَّها على وجود الله، وتوحيدهم كله هو الوصول إلى وجود الله ﷻ، وأن الله موجود، وهذا لا يغني شيئًا، فليس هذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، إنما الرسل جاءت بتوحيد الله ﷻ في العبادة التي كُلِّف بها العباد، بأن تكون خالصةً لله، ليس فيها شيءٌ لغيره.

وقد ذكر الله ﷻ قَصَص الأنبياء في هذا، وبيَّن أنهم كلَّهم متفقون على الدعوة إلى عبادة الله وحده، كما قال الله ﷻ لقوم هود: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠].

وهذا هو حقيقة التوحيد وحقيقة العبادة؛ أن يُعبَدَ اللهُ وحده، وتُترَكَ عبادةُ غيره، وهذا هو تعريف التوحيد حقيقةً؛ أن تَجعَل العبادة خالصةً لله، وتَتجنَّب جميع ما يُناقض ذلك، أو يَذهب بكماله.

وقد أراد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن يَجعل أصولًا كليةً، وليست جامعةً للعقيدة كلِّها، وإنما حصَرها في خمسة أشياء:

الأصلُ الأول: التوحيدُ.

الأصلُ الثاني: الإيمانُ بنبوةِ جميعِ الأنبياءِ عمومًا، ونبوةِ محمدٍ ﷺ خُصُوصًا.

الأصلُ الثالثُ: الإيمان باليومِ الآخرِ، وهو داخلٌ فى الإيمان بالله.

الأصلُ الرابعُ: مسألةُ الإيمانِ.

الأصلُ الخامسُ: طريقهم في العلمِ والعملِ، وهي الطريقة التي يجب أن تُسلَك في الاستدلال والعمل والاعتقاد، وهي محصورةٌ في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

اقتصرنا فيها على مجردِ الإشارة والتنبيه،.....

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (اقتصرنا فيها على مجرد الإشارة والتنبيه، من غير بسطِ للكلام).

هذه الرسالة مختصرة كما قال من قبلُ. ومعلومٌ أن الأدلة يجب أن تكون من كتاب الله ﷻ وسنَّة رسوله ﷺ فقط، أما العقول فيجب أن تَسترشِد بأدلة الكتاب والسُّنَّة؛ لأنها لا تَستَقِلُّ بمعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته؛ لأن الله ﷻ غيبٌ، كما قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]؛ أي: يؤمنون بالله وبالأخبار المُغَيَّبة، فهو غيب ﷻ، فلا بدَّ من الخبر عنه، ولا يُخْبِرُ عنه أصدقُ من نفسه، تعالى وتقدس، ثم رسُلِه، لا طريق غير هذا.

والأمر الثاني: أنه ﷻ لا مثيل له؛ فيُقاسَ عليه، وبهذا سُدَّ باب معرفة هذا إلا بأخباره وأفعاله وما جاءت به الرسل. وأفعاله منها المُشاهَد الذي نشاهده؛ مثل خَلْقِ السموات والأرض، والجبال، والأنفس، وتصريف الرياح، والسحاب، والأمطار، وتصريف الأمور، والإماتة والحياة، والهدى والضلال، وغير ذلك؛ فيجب أن نهتديَ بكل هذا، وأن نأخذ ذلك مِن كتاب ربنا وسُنَّة رسوله ﷺ. أما أهل الضلال الذين يسمُّون الأصول براهين، ويحَكِّمون عقولهم؛ فقد ضلوا ضلالًا بعيدًا، هؤلاء اتبعوا أنفسهم، وكذُّوا أذهانهم وعقولهم، ولم يصلوا إلا إلى أنهم عرفوا وجود الله فقط! وهذا عَرَفه المشركون القدامى، ولا يختلف فيه إلا إنسانٌ معاندٌ مكابر، والمعاندُ المكابر ليس له إلا السيف بعد البيان.

فلا بد مِن الاهتداء بما قاله الله ﷻ، وبما قاله الرسول ﷺ في هذا

من غير بسطٍ للكلام ولا ذكرِ أدلتها، .....

المجال وفي غيره؛ حتى لا يضِلَّ العبد، فالعبد ضعيف، إن لم يُرشَد ويَنقَدْ للإرشاد ويُسلِّم لذلك، فسوف يكون في يد الشيطان يتصرف فيه كيف يشاء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (من غير بسطٍ للكلام، ولا ذكر أدلتها).

أدلتها معلومة وظاهرة من كتاب الله ﷻ وسُنَّة رسوله ﷺ.

أما الأمور المشاهَدة فهذه لا يختلف فيها لا عالمٌ ولا جاهلٌ، وإنما يجب عليه أن يوجِّه نظره وفِكْره إليها فقط، فأكثر الناس يَغفُلون عن هذا، فأكبر المخلوقات المُشاهَدة هي السمٰوات، ثم الأرض التي نعيش عليها.

ومعلومٌ أنَّ المخلوق لا بد له من خالق، فهو لم يَخلُق نفسه، ولم يَخلُقه نظيره، هذا مستحيل عقلًا؛ لذا لا بد للمخلوق مِن خالق، ولا بد للأثر مِن مؤثِّر، وهذا شيءٌ لا يختلف فيه العقلاء، وهو مما فطر الله ﷻ عليه الخلق كلهم، حتى الطفل الصغير لو ضربه ضارب وبكى، وقلت له: اسكُتْ، ما ضربك أحد، لم يقتنع؛ فالأثر لا بد له من مؤثِّر.

وهذه المخلوقات المشاهَدة جعلها الله دليلًا على وجوب عبادته؛ يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١]؛ أي: هو الخالق لكل شيء؛ فالخالق هو الذي يجب أن يُعبد، ويقول الله ﷻ في المشركين: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ﴾ [فاطر: ٤٠] هل خلقَتْ آلهتُهم شيئًا؟!

لهذا؛ فإن المشرك ليس له أي اعتذار، وليس له أي حجة؛ فهو إنما قلَّد مَن سبقه فقط، والتقليد الأعمى لا يأتي إلا بالضلال، فلو

.....

سألتَ الذي يعبد غير الله؛ من القبور والأشجار والأحجار، والشمس والقمر والنجوم، والملائكة والرسل والأولياء، وغيرهم: ما دليلك؟ وما برهانك على هذا؟

لا يمكن أن يأتي بدليل، إلا أن يأتي بشيء كَذِب، أو حكايات باطلة، أو تقليد أعمى فقط، وهذه كلها لا تُقنع حتى الأطفال!

ولهذا إذا وقع الإنسان في الشرك ومات عليه، فهو في النار دون قيدٍ أو شرط، أتاه الرسول أو لم يأتِه، وها هو رسول الله ﷺ يخبر عن المشركين الذين ماتوا قبل بعثته أنهم في النار، فقد قام خطيبًا ذات يوم فقال: «**سَلُونِي، لَا تَسْأَلُونِي عَن شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنتُهُ لَكُمْ**». كأنه أراد أن يؤدبهم. فقام رجل وقال: أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «**أَبُوكَ فِي النَّارِ**». فتغير وجهُه وولى، فدعاه رسول الله ﷺ، ثم قال له: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»[(١)].

وفي رواية: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَكَانَ وَكَانَ، فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: «**فِي النَّارِ**». قَالَ: فَكَأَنَّهُ وَجَدَ مِن ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ أَبُوكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ**». قَالَ: فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدُ، وَقَالَ: لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَبًا؛ مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إِلَّا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تناله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقربين (١/ ١٩١) برقم (٢٠٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين (١/ ٥٠١) برقم (١٥٧٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢/ ٤٣): هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

. . . . . .

وسُئل النبي ﷺ عن أُناس معيَّنين؛ فقد سألته عائشة رضي الله عنها عن عبد الله بن جُدْعان، وكان مِن الكُرَماء، حتى قيل: إنه أعتق ألف عتيق، وكان له جَفنة يأكل منها الراكب، حتى لا يتكلف الراكب النزول ليأكل، وكان يقول لغِلمانه: من جلب ضيفًا فهو حُرٌّ! فقال ﷺ: «**هو في النار؛ لأنه ما قال يومًا من الدهر: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[1]؛ أي: أنه لم يعبد الله وحده.

أما قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]، فيقول جمهور المفسرين: إن هذا العذاب في الدنيا[2]؛ مثل: عذاب قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وغيرهم، فلا يأتيهم العذاب الذي يستأصلهم حتى يأتي الرسول، أما الشرك فليس لهم أي اعتذار فيه؛ لأن الله خلقهم، وهذا يكفي؛ فالخالق هو الذي يجب أن يُعبَد؛ قال الله ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥]، لم يُخلَقوا من غير خالق، ولم يَخلُقوا أنفسَهم، فإذًا لا بدَّ لهم من خالق، وهو الله ﷻ، والخالق لا بد أن يكون قادرًا على كل شيء، عالمًا، بصيرًا، غنيًا بذاته عن كل شيء.

فالمقصود أنَّ العقائد يجب أن تؤخذ من كتاب ربنا ﷻ، ومن إيضاح وبيان رسولنا ﷺ الذي أمره الله ﷻ أن يُبيِّن لنا ما أُنزل إلينا، وقد وضَّح؛ فلا عُذر لأحد في مخالفته.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل (١/ ١٩٦) برقم (٢١٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٢).

أقربُ ما يكون لها أنها من نوع الفِهْرِسْت للمسائل؛ لتُعرَف أصولها ومقامها ومحلُّها من الدين،.....

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أقرب ما يكون لها أنها مِن نوع الفِهْرِست للمسائل، لِتُعْرَفَ أُصولُها ومقامها ومحلُّها من الدين).

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: إن هذه المسائل مختصرة جدًّا، فهي مجرد عناوين فقط، وهناك أشياء كثيرة جدًّا لم يذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن هذا مختَصَر اختصارًا مبالَغًا فيه، وهو شبه الفِهْرِس لهذا العلم، كما سبق التنبيه عليه.

يجب على الإنسان أن يهتم لنفسه، وألَّا يكون اهتمامه بالعلم فقط؛ لأنه لا خلاص له من عذاب الله إلا باتِّباع رسول الله ﷺ، ومعرفة ما جاء به، ودون ذلك فهو هالكٌ مُعذَّب في الدنيا والآخرة، وإن كان كثير من الناس لا يشعرون بالعذاب في الدنيا، أما العذاب الظاهر الجلي فيبدأ عند الموت، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فقوله ﷻ: ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بالضَّرب، وقوله ﷻ: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾؛ أي: أرواحكم التي في أجسادكم، فيعذبونهم وهم على فُرشهم بين أهليهم في بُيوتهم، أو في المُستشفيات، أو في غيرها! ثم إذا خرجت الروح كان العذاب أشد وأنكى وأبقى؛ فهم ينتقلون من عذابٍ إلى عذاب ـ نسأل الله العافية ـ؛ لأن ربنا ﷻ خلقنا وأعطانا عقولًا وأفكارًا، وأحاطنا بآيات من فوقنا ومن تحتنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، فمن أي جهة التفتَّ وجدْتَ آياتٍ تُحيط بك وتدُلُّك على وجوب عبادة الله، فإذا لم تفعل فأنت مجرمٌ تستحق العذاب.

ثمَّ مَن لـه رغبةٌ في العلمِ يطلبُ بَسطَها وبراهينَها من أماكِنِها، وإن يسَّرَ الله وفسَح في الأجلِ بسطتُ هذه المطالب ووضَّحتها بأدلتها.

فمن أهم المهمات أنه يجب على الإنسان أن يعلم مُهمته في هذه الحياة. ليست مُهمته الأكل والشرب، واللَّعِب والطَّرَب، واتِّباع الشهوات؛ فهذه يشترك فيها مع العاقلِ الكلابُ والبهائم وغيرها، ولا مزية للإنسان في هذا! ويقول الطِّيبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح المشكاة»: «والله، لولا الموت لمات أحدنا كَمَدًا»[1]؛ أي: أن الموت يُفرَح به، وإذا تذكر العبد الموت اطمأن؛ لأنَّ مَن عنده الإيمان الثابت واليقين الذي لا يتزعزع إذا مات على الإيمان، فهو في سعادة، أمَّا حياة كثير من الناس فهي حياة بهائم ـ نسأل الله العافية ـ؛ لذا تجد كثيرًا من الناس يتعلق بهذه الدنيا، ولا يُريد الخروج منها!

هذه هي ثمرة العلم والإيمان؛ أن يرغب فيما عند الله ﷻ، ويكون أرغب فيما عند الله مما في يده مِن حُظوظ الدنيا، وأوثق من ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثم مَن له رغبة في العلم يتطلب بسطها وبراهينها من أماكنها).

مَن أراد ذلك وطلبه فهو موجود في الكتب وفي غيرها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإن يسَّرَ الله وفَسَح في الأجل بسطتُ هذه المطالب، ووضحتُها بأدلتها).

---

(١) (٢/٥٦٩)، وقال أيضًا في «شرح مشكاة المصابيح» (٤/١٣٦٨): «اعلم أن الموت ذريعة إلى وصول السعادة الكبرى، ووسيلة إلى نيل الدرجة العليا، وهو أحد الأسباب الموصلة للإنسان إلى النعيم الأبدي، وهو انتقالٌ من دارٍ إلى دار، فهو وإن كان في الظاهر فناءً واضمحلالًا، ولكن في الحقيقة ولادة ثانية، وهو بابٌ من أبواب الجنة، منه يتوصَّل إليها، ولو لم يكن الموت لم تكن الجنة». اهـ.

.....

أي: إن قُدِّرَ أننا نشرح ذلك ونبيِّن أدلته. ولم يُقدَّر ـ والله أعلم ـ، مع أن الذين اعتذروا عن هذا قالوا: إن المَنيَّةَ قد وافته رَحِمَهُ اللَّهُ قبل أن يعمل.

والظاهر أنه لم يُرِد ذلك؛ لأن هذه الرسالة كُتبت سنة (١٣٥٧هـ) وهو توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٧٦هـ)، فهناك فرقٌ كبيرٌ يصل إلى عشرين سنة؛ فالظاهر أنه صرَف النظر عنها؛ لأن ذلك واضحٌ، وبسْطُها موجودٌ في كتاب الله بأوضح عبارة وأجلى دليل، وكذلك في سُنَّة رسوله ﷺ، ومن أدلتها المخلوقاتُ المُشاهَدة؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]، فمعنى قوله ﷻ: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾؛ أي: ليسوا بهائم؛ فالبهائم لا تعقل، والله ﷻ جعل مناط التكليف هو العقل، فيجب أن يَستدِلَّ بهذه الأشياء ويَعبُدَ ربه ﷻ.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصلُ الأول

التوحيـــدُ

حدُّ التوحيدِ الجامع لأنواعه: .....

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأصل الأول: التوحيد).

كلمة التوحيد هي الأحسن والأولى بهذا الفن، بخلاف العقيدة؛ فإن العقيدة تُطلق على العقيدة الصحيحة، وعلى العقيدة الفاسدة؛ فالعقيدة: هي ما عَقَد عليه القلبُ عزمَه وعِلْمَه وتصميمه، وقد يكون باطلًا وقد يكون حقًّا، بخلاف التوحيد، فإذا قيل: التوحيد انصرف ذلك إلى توحيد رب العالمين بأنواعه، كما أنه مأخوذ من الوَحدة، ؛ أي: أن يكون الفعل واحدًا، وأن يكون الاتجاه واحدًا، وأن يكون المتَّجَه إليه واحدًا؛ يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «نونيَّته»:

فلواحِدٍ كُنْ واحدًا في واحدٍ أعني سبيلَ الحَقِّ والإيمانِ[1]

أي: كن عبدًا لله ﷻ في العبادة التي جاء بها الرسول ﷺ، الذي هو طريق الحق والإيمان، أما إذا كان العبد له اتجاهات فهو مُوزَّع، وله شركاء، فهو عبدٌ مشترك بين أربابٍ متعددة، وهذا هو الشرك بالله ﷻ؛ أن يَعبُدَ الله ويَعبُدَ معه غيره. فيجب على الإنسان أن يعرف ما العبادة؟ وما التألُّه؟ فالتألُّه: هو الاتجاه إلى الله ﷻ بأنه ﷻ هو المعبود النافع الضار، الخالق المتصرف. وأول ما يجب على العبد أن يتجه قلبه إلى الله

---

(١) نونية ابن القيم (ص٢١٩).

على أنه مستوٍ على عرشه، فإن كان يقول: إن الله في كل مكان، فقلبه ضائع ولن يستقيم؛ فالله ﷻ فطر عباده على أنه في العُلْو، فوق كل شيء؛ ولهذا إذا دعا الإنسان ربه رفع يديه، لا يلتفت إلى شمالٍ ولا إلى يمين، ولا إلى أسفل ولا غير ذلك. هذا هو أول شيء من العبادة؛ التفات القلب وتوجُّهه إلى الله ﷻ. وهذا التوحيد هو أن توحِّدَ الله ﷻ بأنه واحدٌ في ذاته، وواحدٌ في أوصافه وأسمائه، وواحد في أفعاله ـ وإن كانت الأفعال تدخل في الأسماء والصفات، ولكن نص عليها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن المخالِف فيها ظاهر ـ، واحد في حقه الذي أوجبه على عباده. وهذه أربعة أنواعٍ لا يشاركه فيها أحد، فإن اختل منها واحدُ بطل التوحيد كله؛ لأنها مرتبطة لا ينفك واحد عن الآخر، وهذا أمرٌ مهمٌّ جدًّا يجب على العبد أن يعرفه، وهو قد خُلق لهذا، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، والأدلة على ذلك لا حصر لها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهناك أيضًا أدلَّة في الكون، وقد جعل الله أدلة الربوبية مُوجبة للعبادة؛ يقول الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١]، فقد خلق الله ﷻ السمٰوات والأرض، وخلق المتضادات كلَّها، والأزواج كلَّها، وهذه أمور ظاهرة، ومع هذا الظهور ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾، ومعنى قوله ﷻ: ﴿يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾؛ أي: يُشركون بالله ﷻ مع هذه الأدلة الظاهرة الجلية! وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، هل يقول أحد:

.....

إن الجبال خلقها فلان، أو الولي الفلاني، أو الملك الفلاني، أو خلقها النَّبي الفلاني، أو خلقها الحُسين، أو خلقها عَلِي؟!

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «منهاج السُّنَّة» في رده على الرافضة، يقول: «كالحِكايةِ المشهُورةِ عن قاسمِ بنِ زكرِيَّا المُطرِّزِ، قالَ: دخَلتُ على بعضِ الشِّيعةِ ـ وقد قيلَ: إنَّهُ عبَّادُ بنُ يَعقُوبَ ـ فقالَ لِي: مَنْ حفرَ البَحرَ؟ فقُلْتُ: اللهُ تعالَى. فقالَ: تقُولُ مَن حفَرهُ؟ قُلتُ: منْ حفَرَهُ؟ قالَ: علِيُّ بن أبِي طالِبٍ. قالَ: مَنْ جعلَ فِيهِ المَاءَ؟ قُلتُ: اللهُ. قالَ: تقُولُ من هوَ الذِي جعَلَ فِيهِ المَاءَ؟ قُلْتُ: من هو؟ قالَ: الحَسَنُ. قالَ: فلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ، قالَ: مَنْ حَفَرَ البَحرَ؟ قُلْتُ: مُعاوِيَةُ، قالَ: ومَنِ الَّذِي جعلَ فيهِ المَاءَ؟ قُلْتُ: يَزِيدُ! فغَضِبَ مِنْ ذَلكَ وقَامَ»[1].

فهذه دعوى مثل دعواه؛ فالدعوى لا تُعجز أحدًا، وهذه سخافة لا تُقنع حتى الأطفال!

المقصود أن أدلة التوحيد من أظهر ما يكون وأجلاه؛ ولهذا يقول العلماء؛ كالطبري وغيره من العلماء الكبار: إنَّه لا حجة لأي مشرك، فأي مشرك يقع في الشرك فهو هالك، وهو في النار؛ لظهور الأدلة من الكون كله والخلق كله؛ ولهذا يقول الله ﷻ في خطابه للمشركين: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ [فاطر: ٤٠]، هل خلق هؤلاء الذين تعبدونهم شيئًا؟!

وإذا ذَكَر الله ﷻ التوحيد، غالبًا ما يَقرِنُه بخلق السمٰوات والأرض؛ لظهورهما، كما قال الله ﷻ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (٧/ ٢٩٦).

. . . . . .

أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]. فالخالق هو الذي يجب أن يُعبد، ولا يشك أحدٌ في أن هذه المخلوقات لله ﷻ؛ لأنها لم تَخلُقْ نفسها، ولم يَخلُقْها نظيرها؛ قال الله ﷻ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١]. ، وإنما هو تقليدٌ أعمى ليس له دليل، كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنبياء: ٥٢، ٥٣]، ليس عندهم إلا هذا الدليل ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾، وكما قال الله ﷻ عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف: ٢٢]، هذا دليل المشركين كلهم، وهم يُخاطبون الرسل بقولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فينكرون هذا الشيء، وآباؤهم ليس لهم دليلٌ ولا برهان، أما كون الله ﷻ خالقًا، فهذا لا إشكال فيه؛ إذ يؤمن الكافرون كلهم بأنَّ الله ﷻ هو الخالق الرازق، المتصرف المحيي المميت؛ قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩]، حتى إنهم يُؤمنون بالصفات؛ بأنه عزيز عليم، ولكنهم يتخذون آلهة؛ ليشفعوا لهم، فشركهم لأجل الشفاعة، أما كونهم يتخذون آلهة يقولون: إنهم شركاء لله في الخلق والتدبير والتصرف، فهذا لم يوجد إلا في أُناس يزعمون أنهم مسلمون؛ كعُبَّاد الأولياء؛ إذ يأتي بعضهم بأشياء لا تنطلي حتى على البهائم؛ كقول بعضهم: لا يدخل أحد البلد إلا بإذن الولي وإرادته! فهذه دعاوى، ولو سألتَه عن دليله لذكر لك أن فلانًا قال كذا، أو رؤيا منام، أو حديثًا مكذوبًا، مثل قولهم: «لو أحسن أحدُكم ظنَّه ولو

هو اعتقادُ العبدِ وإيمانُه بتفرُّد الله بصفاتِ الكمالِ، وإفرادُه بأنواعِ العبادة. .....

بحجرٍ، لَنفعَه!»[١]. ويجعلون هذا حديثًا عن الرسول ﷺ!

ويقول بعض شعرائهم[٢]:

يـا خـائـفـيـنَ مِـنَ الـتَّـتَـرْ لُـوذُوا بـقَـبـرِ أبـي عُـمَـرْ

ويجعلونه حديثًا عن الرسول ﷺ! وهذه أحاديث الشرك، وأدلتهم في ذلك أحاديث مكذوبة عن النبي ﷺ، أو حكايات موهومة، أو منامات شيطانية يُوحيها الشيطان لهم، أو ظُنون كاذبة، وما عندهم غير هذه الأمور الباطلة.

قوله رحمه الله: (هو اعتقاد العبد وإيمانُه بتفرُّد الله بصفات الكمال، وإفرادُه بأنواع العبادة).

هذا تعريف جامع يدخل فيه توحيد العبادة ـ كما نصَّ عليه ـ وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية؛ فاعتقاد العبد وإيمانه بتفرد الله بصفات الكمال يَدخل فيه توحيدُ الربوبية، ويدخل فيه توحيدُ الأسماء والصفات.

قوله رحمه الله: (هو اعتقاد العبد).

الاعتقاد يلزم منه العلم وعمل القلب، فيعلم أولًا ثم يعمل، وإلا فلا يكون اعتقادًا صحيحًا؛ أي: أنه عَقَد قلبه على هذا الشيء مؤمِنًا به، ومقتنعًا به، ومستسلمًا له، ومنقادًا له.

---

(١) كذب لا أصل له، كما قال ابن تيمية وابن حجر وغيرهما. انظر: المقاصد الحسنة (ص٥٤٢)، وكشف الخفاء (٢/ ١٧٨).

(٢) الاستغاثة في الرد على البكري (ص٤١٢).

.....

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإيمانه بتفرُّد الله).

إيمان القلب بتفرُّد الله ﷻ، وإذا آمن القلب لزِم مِن ذلك عملُ الجوارح، لا يمكن أن يكون القلبُ مؤمنًا مقتنعًا مستسلمًا، ثم تظل الجوارح دون عمل! هذا لا يمكن.

ولهذا فإن المسائل التي يذكرونها فرضية فقط لا وجود لها في الواقع؛ يقولون: لو أن إنسانًا مؤمنًا امتنع من الصلاة، ثم دُعِيَ إلى الصلاة وقيل له: نقتُلك إن لم تصلِّ... إلى آخر ما يقولون، فهل يُقتل مرتدًّا؟ أم يُقتَل حدًّا؟

هذا الأمر لا حقيقة له، فلا يمكن للإنسان أن يؤمن بقلبه، ثم لا يُصلي! فإذا آمن القلبُ وانقاد واقتنع بهذا، فلا بد أن يعمل، فلو مُنِع المؤمن من الصلاة ربما يموت حسرةً. فلا بد مِن عمل الجوارح، لا بد أن يقول اللسان: أشهد أنْ لا إلٰه إلا الله؛ إذ لو اعتقد إنسانٌ صحة الإسلام وأنه هو الدين الذي لا يقبل الله غيره من أحد، وعَمِل بذلك، لكنه لم ينطق بالشهادتين ومات على ذلك؛ فهو كافرٌ وليس بمؤمن. فالقول هو أن ينطق بالشهادتين، كما قال الله ﷻ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]؛ فقوله ﷻ: ﴿قُولُوٓاْ﴾ أمر، والرسول ﷺ يقول: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»[1]. ومعنى قوله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (٢/ ١٠٥) برقم (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله (١/ ٥١) برقم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

.....

«**حسابه على الله**»: أن القلب لا يطَّلع عليه إلا رب العالمين، فهو الذي يحاسب عليه؛ لأنَّ الإنسان قد يقول بلسانه خلاف ما انطوى عليه قلبه، وكذلك إذا قال ولم يعمل، لا يكون مسلمًا؛ لهذا يقول المصطفى ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شهادةِ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وصَومِ رَمَضانَ**»[1]. البناء يحتاج إلى أساس، وهذه الخمس هي الأساس.

أما الإيمان فأركانه ثلاثة: القول، والعلم ـ علمُ القلب ونيَّتُه وإرادتُه ـ، والعمل. هذا تعريف أهل السُّنَّة، وهو تعريف دقيق إذا فهم الإنسان ذلك.

وأما الاعتقاد فهو ما يَعقِد عليه القلبُ عَزْمَه العَقَد الصادقَ عن علمٍ ويقين، ولا يكون عقيدةً إلا هكذا.

والعقيدة ـ كما ذكرنا من قبل ـ قد تكون صحيحةً مستقيمةً إذا كانت موافِقةً للحق، وقد تكون باطلةً.

ولذلك اختار كثيرٌ من العلماء المحققين كلمةَ التوحيد بدل العقيدة، وهذا هو الصحيح؛ فدين الإسلام هو التوحيد، وليس عقيدةً فقط؛ لأن العقيدةَ تختلف باختلاف متعلَّقاتها، وقد تكون متعلَّقاتها باطلةً، وقد تكون صحيحةً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمسٍ**» (١/ ١١) برقم (٨)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام (١/ ٤٥) برقم (١٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

.....

ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عطفًا على قوله: **(اعتقاد العبد)**: **(هو اعتقاد العبد وإيمانه بتفرد الله بصفات الكمال)**.

فجعل الإيمان غير العقيدة، بدليل العطف على العقيدة، فكأنه يقول: وإقرارُ العبدِ بما جاء عن الله ﷻ، وما جاء به الرسول ﷺ، وقَبولُ ذلك.

فإذا لم يُقِرَّ العبد بما جاء به الرسولُ ويقبلْه وينقَدْ له، فإنه لا يكون موحِّدًا، ولا يكون مسلمًا أصلًا؛ بل لا بد من اعتقاد تَفَرُّدِ الله ﷻ بصفات الكمال والجلال، وبهذا يخالف المسلمُ طريقةَ المتكلمين والمتأوِّلين والمُشبِّهين، الذين جانبوا الحق وسلكوا سبيل التأويل أو التعطيل والتحريف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإفراده بأنواع العبادة)**.

العبادة بالأسماء والصفات، والعبادة بالأفعال، والعبادة بالأوامر والنواهي، كلها داخلة في إفراد الله بأنواع العبادة؛ فهذا هو توحيد العبادة.

وهذا التقسيم الذي قُسِّم فيه التوحيد إلى ثلاثة أقسام جاء على سبيل الاستقراء من الأدلة، وليس منصوصًا عليه في كتاب الله أو في سُنَّة رسوله ﷺ، ولكنه ظاهرٌ جدًّا؛ لأن الخَلْقَ والمِلْكَ والتصَرُّفَ **شيءٌ**، واتصافَ اللهِ ﷻ بأنه سميعٌ عليمٌ بصيرٌ، وأنه على كل شيءٍ قديرٌ، إلى آخر أسمائه التي أُخذت من صفاته: **شيءٌ آخَرُ**.

وعبادة عباده، وإفراده بالعبادة، والتوجه والتألُّه: **شيءٌ ثالث**. فاختلاف هذه الأشياء أمر لا ينكَر، وإذا تأملنا القرآن وجدناه يدل على ذلك.

.....

فأول سورةٍ في المصحف، يقول الله ﷻ فيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢].

فجعل الحمدَ له؛ لأنَّ له الكمال المطلق من جميع الوجوه؛ له الكمال فيما يتصرف فيه ويفعله، وله الكمال فيما يَتصف به ﷻ، وله الكمال كذلك فيما يَتسمَّى به.

والحمد يقتضي أن يُعبَد هو، فاسم الله أيضًا يدل على وجوب عبادته، وقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «الله معناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»[1]؛ أي: أنه صاحب الألوهية والعبودية التي تجب على جميع الخلق له.

ثم قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

والرب في اللغة: هو المالك المتصرف الذي يملك الشيء، ويتصرف فيه كيف يشاء، وهذا غير ذاك.

ثم قال بعد ذلك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣].

فالرحمٰن: اسم لله ﷻ، وكذا الرحيم، ومعنى ذلك: أن الله يعلِّمنا أنواع التوحيد.

ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]؛ أي: أن العبادة تكون خاصةً له ﷻ، ولا تحصل من العبد حتى يستعين بالله ﷻ.

وفي هذا إثبات القَدَر، وإثبات أن أفعال العباد مخلوقةٌ لله ﷻ، وهكذا في جميع القرآن لو تأملناه.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٢٣).

. . . . . .

مثل قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١ ـ ٣].

هذا ليس مكرَّرًا؛ فلكل جملةٍ معنًى من المعاني، وهذه هي أنواع التوحيد الثلاثة. وإنكار التقسيم يدل على الجهل، أو يدل على الهوى واتباع مذهب معين، وكذلك الزيادة على هذه الأقسام الثلاثة لا معنى لها.

ومن ذلك توحيد المتابعة أو توحيد الحاكمية، كما يقول بعض الدعاة وبعض العلماء، فهذا من باب التفصيل الذي لا داعي له؛ لأن تشقيق الشيء الواحد قد يدعو إلى عدم الفهم عند بعض الناس، فكلها راجعة إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

فتوحيد المتابعة راجعٌ إلى توحيد الألوهية، وتوحيد الحاكمية راجعٌ إلى توحيد الربوبية؛ لأنَّ الحاكم هو الرب الذي يجب أن يكون الحُكم له وحده، ولا يكون له مشارِكٌ في ذلك؛ فهذه كلها داخلة في تعريف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإذا أفرد العبدُ ربه بأنواع العبادة التي أمر الله ﷻ بها، سواء كانت العبادة واجبةً أو كانت مستحبة؛ سَلِمَ. ولا تكون العبادة إلا واجبة أو مستحبة، فلا تكون مباحة؛ لأن المباح لا يدخل في هذا.

فكل ما يُتقرَّبُ به إلى الله ﷻ لا يخرج عن كونه واجبًا أو مستحبًّا، فدخل في هذا جميعُ ما يُتقرَّبُ به إلى الله ﷻ.

ويجب أن يُفرد الله ﷻ بالعمل، وأن يكون خالصًا لله ﷻ، وبذلك يجانب الإنسانُ الشركَ بأنواعه، ويجانب المشركين الذين يجعلون كثيرًا

فدخلَ في هذا:

توحيدُ الربوبية: الذي هو اعتقاد انفرادِ الربِّ سبحانه بالخلق، والرزق، وأنواع التدبيرِ.

من عباداتهم - إن لم يكن كلها - لأهل القبور، أو لغيرهم من شياطين الجن والإنس، أو لغير شياطين الجن؛ من ملائكةٍ وصالحينَ وأنبياءَ.

والشرك كله شيءٌ واحد؛ لا فرق بين كون الإنسان يُشرك بعبادة الشيطان، أو بعبادة جبريل عليه السلام، فإذا عَبد غير الله فهو مشرك، وإن كانت عبادةُ الشيطان قد تكون بعيدةً للعقلاء، ولكن تصرفات ابن آدم وتصوراته من أغرب الأشياء.

قوله رحمه الله: (فدخل في هذا: توحيد الربوبية الذي هو اعتقاد انفرادِ الربِّ سبحانه بالخلق، والرزق، وأنواع التدبير).

اقتصر على هذه الأمور الثلاثة، وهي انفراد الرب بالخلق والرزق وأنواع التدبير. ويدخل في أنواع التدبير التصرفُ؛ من كونه يتصرف في كل شيء.

فهذه الأمور الثلاثة تَرجع إليها معاني الربوبية كلُّها، ولا تخرُجُ عنها.

ومن معاني الربوبية كون الرب ﷻ هو الذي يُربِّي عباده ويقوم عليهم بما يُصلِحُهم.

أما الخلق فلا خلاف فيه بين الناس؛ لأنه ظاهر جدًّا؛ ولهذا جعله الله جل وعلا دليلًا على وجوب الإيمان ببقية أنواع التوحيد، بل جعله مُلزِمًا للمشركين الذين يعبدون الله ويعبدون معه غيره، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

.....

[البقرة: ٢١]، فلا خلاف بين أحد في أن الله ﷻ هو الذي خلقهم، وخلق كل المخلوقات؛ ولهذا جعل ذلك دليلًا على وجوب العبادة، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ فدل على أن الخَلْقَ يُوجِب العبادةَ ويُلزِم بها؛ فالتفرد بالخلق يُلزِم بإفراد العبادة لله ﷻ، ثم فصَّل ﷻ فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، فهم يُقِرُّون بكل هذا ويَعرفونه تمامًا؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾؛ أي: تعلمون أن الله هو المتفرد بهذه الأمور المذكورة.

والقرآن كله في التوحيد، وفي جزاء أهله في الدنيا والآخرة، وكذلك في جزاء الذين تركوا التوحيد، وما فُعل بهم في الدنيا وما سيُفعل بهم في الآخرة.

ودلائل التوحيد كثيرة جدًّا، وهي ظاهرةٌ لا خفاءَ فيها؛ ولهذا لا عذر لمن خالف في ذلك إذا كان سليمَ العقل، مهما بلغ من الجهل، فلا عذر.

إذا وقع الإنسان في الشرك فهو مشرك، وإذا مات فهو في النار خالدًا فيها، سواء كان في الأمة الإسلامية أو في أمم الكفر، لا فرق بين هذا وهذا، وقد أخبر الله ﷻ بذلك في قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، تأمل قوله ﷻ: ﴿يَحْسَبُونَ﴾؛ أي: يظنون أن عملهم صحيحٌ. وهذا كثيرٌ في القرآن؛ يذكر الله ﷻ أنهم يظنون أنهم على حقٍّ، وهم على باطل.

. . . .

وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] الأنعام لا تفقه؛ لذا يقول: إنهم أضلُّ؛ فهم لهم قلوبٌ يفقهون أمورَ الدنيا ويعرفونها، ويخترعون المختَرَعات الدقيقة العجيبة، ولكنهم لا يعرفون ربهم، ولا يعرفون لماذا خُلقوا، ولا يعرفون ما أُعدَّ لهم!

وليس معنى ذلك أنه بعيدٌ وأنه ليس في مَنالهم؛ بل هو قريب جدًّا، ولكنهم غافلون مُعرِضون، ولا عذر لهم في ذلك.

مثل هؤلاء الذين في بلاد المسلمين يَعبدون القبور، ويعبدون الأشخاص، فهم كذلك مشركون، وإذا ماتوا فهم في النار، لا عذر لإنسان؛ لأن أدلةَ التوحيد متكاثرةٌ جدًّا، من العرش الذي هو أكبر المخلوقات إلى الذرة الصغيرة، وكلها أدلة على وجوب عبادة الله ﷻ، فلا عذر لإنسانٍ أعرض عن هذا؛ فالرسل جاءت تُقرر هذا وتُبيِّنه وتوضِّحه.

قد يقول قائل: يقول الله ﷻ: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]، فنقول: الآية فيها قولان للعلماء:

قول لجمهور المفسرين: أن هذا العذاب في الدنيا؛ فلا يُعذِّب الأمم حتى تأتيَ الرسل، فلا يكون دليلًا على أن المشرك لا يُعذَّب. هذا هو قول جمهور المفسرين من السلف وغيرهم.

القول الثاني: أنها عامةٌ.

.....

ولكن الأولَ هو الأرجحُ؛ لدلائل الآيات الكثيرة التي دلَّت على أن المشرك والضالَّ يظن أنه محسنٌ، وهو مسيءٌ، وقد أخبر الله ﷻ عنهم أنهم في النار.

وقد سُئل الرسول ﷺ عن أُناسٍ بأعيانهم ماتوا قبل بعثته، فقال: **«هم في النار»**[(١)].

وسَأل رجلٌ النبي ﷺ: أين أبي؟ فقال ﷺ: **«أبوك في النار»**، فتغَيَّر وجهُه، فقال له ﷺ: **«أيُّ قبرِ مشركٍ مرَرْتَ به، فقل: إني رسولُ رسولِ اللهِ إليك، أبشِرْ بالنَّارِ»**، فكان الرجل يقول: لقد كُلِّفتُ شَطَطًا[(٢)].

وهذا جزاء تعنُّته وسؤاله عما لا يعنيه، فكُلِّف بهذا الشيء. والشاهد في ذلك قوله ﷺ: **«أيُّ قبرِ مشركٍ مَررتَ به فقل: أنا رَسولُ رَسولِ اللهِ إليك، أبشِرْ بالنَّارِ»**، فهذا دليلٌ على أنَّ مَن مات مشركًا فهو في النار. ويقول الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

وقال بعد ذلك: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٠]، فالأمر في هذا واضحٌ جليٌّ.

---

(١) كما في حديث عائشة، وقد سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

.....

فالمقصود أن توحيد الربوبية دليلٌ على وجوب إفراد الله بالعبادة.

وسمي بتوحيد الربوبية؛ لأنه توحيد الرب بأفعاله، وأنه لا نظير له، ولا شريك له في أفعاله، كما أن توحيده بصفاته هو اعتقاد أنها تخصه ولا يشاركه أحد فيها؛ فالصفات له تعالى وتقدس، وكذلك الأسماء، ولكن يجب أن يكون قد ورد بهذه الصفات والأسماء والعبادة خبرٌ من الله ﷻ بقوله، أو قول رسوله ﷺ، أما إذا جاء بالآراء والذوق، والعادة والتعارف؛ فيكون بدعةً وضلالة، وكل بدعةٍ وضلالة في النار.

ومن المعلوم أن اعتقاد الإنسان أن الله ﷻ هو المتفردُ بالخلق والرزق وأنواع التدبير، والتصرف بالخلق كلهم في الإماتةِ والإحياء والإيجاد، والإعزازِ والإذلال، والإعطاء والمنع، ليس كافيًا وحده لنجاة الإنسان وخروجه من الكفر إلى الإسلام؛ بل لا بد أن يُضيف إلى ذلك توحيدَ الأسماء والصفات، وأن يؤمن بأن الله سميعٌ عليم، رحيمٌ توَّاب رؤوف... إلى آخر ما تَعرَّف به ﷻ إلى عباده في كتابه وسنة رسوله ﷺ فقط.

ثم أيضًا لا يكفي أن يكونَ مؤمِنًا بذلك حتى يُضاف إلى ذلك إفرادُ الله ﷻ بالعبادة التي كُلِّف بها الإنسانُ، فيكون عابدًا لله وحده.

فتبيَّن بهذا أن هذه الأنواع مترابطةٌ لا ينفك واحدٌ عن الآخر، لا بد من اجتماعها، فإن انفرد واحدٌ دون الاثنين؛ فالإنسان كافرٌ غير مؤمن، وقد يقول قائل: فما الفائدة إذًا في التشقيق والتدقيق؟

نقول: الفائدة في هذا هي الفهم والمعرفة؛ لأن الإنسان إذا فَهِم وعَرَف، رسَخ العلم في قلبه وازداد إيمانُه.

. . . . . .

وزيادة الإيمان تقتضي زيادةَ العمل، وهو المقصود، أما إيمان عِلم بلا عمل فلا فائدة فيه، وقد يكون زيادة عذاب ـ نسأل الله العافية ـ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والرزق)**.

قسم العلماء الرزق إلى قسمين:

القسم الأول: رزقٌ عامٌّ يكون للعاقل ولغير العاقل؛ بل لكل حي.

القسم الثاني: رزقٌ خاصٌّ يَخصُّ الله ﷻ به من يشاء، وهو رزق الإيمان، والتقى، والهدى، والمعرفة. فهذا لا يحصل إلا لمن أكرمه الله ﷻ، ومَنَّ عليه بالهداية، وهي أفضل ما يمُنُّ به الله ﷻ على عباده، وتمام هذه المِنَّة أن يموت الإنسان على ذلك؛ لأن كثيرًا من الناس يهتدي ويَعرف، ثم يَنتكِس بعد ذلك ويَضِل ـ نسأل الله العافية ـ.

وهذا يدلنا على أن الإنسان لا يستطيع أن يستقلَّ بالأمور بنفسه ويُوجِد ما يريد؛ بل الأمر كله بيد الله ﷻ، يُصرِّف القلوب كيف يشاء، ويُصرِّف الأفكار والأنظار كيف يريد وكيف يشاء؛ ولهذا كان ﷺ يُكْثِرُ من قول: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». فقيل: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»[1]؛ لأنه المالك الذي يملك الخلق ويتصرف فيهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤)، والترمذي في سننه واللفظ له، في كتاب القَدَر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعَي الرحمٰن (٤/٤٤٨) برقم (٢١٤٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

. . . . . .

وسيأتي لاحقًا قول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**دخل في هذا التوحيدِ الإيمانُ بالقضاء والقَدَر**)؛ وذلك لأنَّ القضاء والقدر مِن تدبير الله، ومن خلقه وإيجاده، ومشيئته وكتابته.

لا يمكن أن توجد حركة أو سكون إلا بمشيئة الله ﷻ في السموات والأرض؛ بل في الكون كله؛ لأنه هو المُدَبِّر وحده، وقد جعل لكل شيءٍ سببًا، فالأسباب لا تستقلُّ بالأمور، وإنما لا بد أن يُضاف إليها أسبابٌ أخرى وأمورٌ أخرى.

وتوحيدُ الربوبية ظاهرٌ جدًّا لا إشكال فيه، والأدلة كثيرة على أنه هو الخالق وحده المالك لكل شيء، ولا يكاد الإنسان يفتح عينيه إلا وجد أدلة ذلك؛ يقول ﷻ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١]، فأنفس الناس فيها أدلةٌ عظيمة.

لو فكرنا مثلًا: كم سنة مضت على آدم؟! وكم ذُريتُه؟! هل يحصيهم أحد غير الله؟ وهم كثيرون بلا شك، فهم آلاف الملايين.

ولو جمعْتَ بني آدم منذ وُجد أولُ مولود وُلِد من آدم إلى آخر مولود، فلن تجد اثنين منهم يتطابقان تمامًا في الأمور الظاهرة؛ مثل اللون، والصوت، والفكر، وغير ذلك، أليست هذه أدلة؟!

ومِن ذلك أيضًا ما وُجد حديثًا من اختلاف الخلق في البصمة، فلا تُطابِقُ بصمةُ أي إنسان بصمةَ غيره، على كثرة الناس! ثم ما اكتشفوه من أنَّ من خصائص العين أنها لا يمكن أن تتفق مع أخرى، وغير ذلك من الأمور التي لا نعرفها.

.....

ومنها أيضًا روح الإنسان نفسه، التي لا يدري ما هي، فهي من أمر الله ﷻ.

فإذا فكر الإنسان في نفسه وجد آيات عظيمة.

وهؤلاء المتكلمون الذين يجعلون التوحيد هو الاستدلال على وجود الله، لم يأتوا في الحقيقة بشيءٍ جديد، وإنما جاؤوا بأمورٍ عويصةٍ وطويلةٍ وعَسِرة، يصعب على عوامِّ المسلمين أن يعرفوها أو يتعلموها إلا بكُلفة، ولسنا بحاجةٍ إلى هذا.

وقد خاطب الله ﷻ العربَ الذين لم يكن عندهم فلسفة ولا علوم، بقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥]، ثم قال الله ﷻ: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٦].

ولما سمع جُبَير بن مُطعِم رضي الله عنه هذه الآية، قال: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»[1].

لأنَّ كل موجود لا يمكن أن يُوجِدَ نفسه، ولا يمكن أن يُوجِدَه نظيرُه؛ فلا بد أن يكون له موجِدٌ قادرٌ عليمٌ بصير، وهكذا في جميع ما تَنظر إليه.

قوله رحمه الله: (أنواع التدبير).

التدبير هو التصرف في الكون كله، وفي قلوب العباد، ولا تحصل حركة إلا بإرادة الله وخلقه ومشيئته في كل شيء، حتى العروق التي في البدن تتحرك بإرادة الله ﷻ وبمشيئته.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩] (٦/ ١٤٠) برقم (٤٨٥٤).

.....

فالتدبير أمرٌ عامٌّ في كل حركةٍ وكل سكونٍ في الكون كله، وكله لله ﷻ.

وقد دل على هذه الأمور أولًا بالخَلق، والخَلقُ خالف فيه مَن خالف.

وكثير من الطوائف تقول: إن الإنسان يَخلُق فِعْلَه! كقولهم: أنا إذا شئتُ آمنتُ، وإذا شئتُ كفَرْتُ! ويقولون: الله يقول: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فيستدل بمثل هذا، ويترك أول الآية وآخرها، ثم يقول: إذا لم أقل بهذا القول أصبحتُ كافرًا!

ومِن الشُّبَه عندهم التي تُلقيها الشياطين يقول بعضهم: إذا لم أقل بهذا القول لزمني أنني أصف ربي بالظُّلم! ويقول: هذا كُفر.

والسبب في ضلال هؤلاء: هو الانحراف عن الدليل وعن النهج المستقيم الذي جاء به المصطفى ﷺ، وتحكيم العقول، فيجعلون الخلق ليس خاصًّا بالله ﷻ، ويجعلون للمخلوق شيئًا مِن الخلق؛ فالقَدَرية يقولون: إنَّ الإنسان هو الذي يخلق فعله، وإنَّ أفعاله خرجت من خَلْقِ الله ﷻ؛ لئلا يلزم الظلم لله ﷻ. يقولون: كيف يخلق فيَّ الكفر ثم يعذبني عليه؟!

والجواب على هذه الشبهة التي قد تكون عند بعض الناس ـ وإن كانت ليست شبهة عند من كان ذا بصيرة، ولكن بعض الناس قد ينقدح في ذهنه أي شبهة تُلقَى ـ أن يُقال له في مثل هذا: من خلقك؟ فإنه سيقول: الله؛ لأنه لم يخلقه أبوه ولا أمه، فلا بد أن يقول: الله، ولا يمكن أن يقول غير هذا.

.....

نقول له: هل الله خلق ذلك فقط؟ أمَا خلق أعضاءك وفِكْرك، وخلق إرادتك، وخلق قوتك؟! فالإنسان مخلوق بصفاته، وليس مخلوقًا صورة فقط دون صفات، فهذا لا يمكن! فإذا أقرَّ بأنَّ الله خلقه لزم أن يُقِرّ بأن الله خلق ذاته وخلق أوصافه التي هي القدرة والإرادة، وإذا وُجِدت القدرة والإرادة وُجِد المراد، وأمَرَك بالشيء الذي تستطيعه؛ أمَرَك بالإيمان والصلاة والصوم، لم يأمُرْك بالشيء المستحيل الذي تَعجِز عنه، ولكنك أبيتَ وامتنعت بإرادتك وقدرتك، ماذا يكون؟ فاللوم عليك، أنت المجرم! أنت الذي يلزمك العذاب، وليس على الله ﷻ لومٌ في ذلك، إلا أنه حَكَمٌ عَدْل، حَكَم عليك بما تستحق. هذا هو الجواب على هؤلاء.

فإذًا؛ هذا قول كفري، ولكن هل يكفرون؟ نقول: لا يكفرون بهذا؛ لوجود الشُّبَه التي قامت عندهم، ولا يكفرون حتى تُزال الشُّبَه وتقام الأدلة، فإذا أصرَّ بعد إقامة الأدلة وإزالة الشُّبَه التي يتعلق بها هنا، يُحكَم عليه، أما قبل ذلك فلا يجوز أن يُحكَم عليه. وهذا أمرٌ عامٌّ، أما أن يُنْكَر الخَلْق فهذا تعطيل، وتعطيل الملاحدة **نوعان**:

النوع الأول: تعطيل الرب أن يكون خالقًا مدبرًا.

النوع الثاني: تعطيل المخلوق أن يكون له خالق.

وهذه كلها من غرائب بني آدم والشواذ التي تقع من بعضهم، مع أن الأمر واضح.

وتوحيدُ الأسماء والصفاتِ: .....

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وتوحيد الأسماء والصفات)**.

التوحيد ـ كما سبق ـ: اعتقاد أن الله واحدٌ في أسمائه وصفاته، ليس له مشارِكٌ فيها، فأسماء الله وصفاته تخصه ﷻ، وهذا الاختصاص هو التوحيد.

والفرق بين الأسماء والصفات: هو أنَّ الاسم ما دل على الذات؛ مثل: العزيز، والحكيم، والرحمن، والرحيم، والحليم، والكريم. فهذه الأسماء له ﷻ تدل على ذاته.

أما الصفات فهي المعاني التي اشتُقَّت منها الأسماء، **على الصحيح من أقوال العلماء**، لكن ليس الاشتقاق النحوي؛ بل المراد أن أسماء الله اشتُقَّت من المعاني؛ فمثلًا العزيز أُخِذ مِن العزة، والرحمٰن أُخِذَ من الرحمة، فهذا معنى قولهم: الصفات مشتقَّة. أما أسماء الخلق فهي كلها مُرتَجَلة وغير مشتقَّة، وقد وُضِعَت لتمييز هذا عن ذاك فقط، فهذا عبد الرحمٰن، وذاك عبد العزيز، وهذا أحمد، وذاك محمد، وليس لهم من هذه الأسماء أي معنى إلا كونهم عبيدًا لله، وهذا شيءٌ معلوم، بخلاف أسماء الله فلها معانٍ عظيمة؛ ولهذا وجب الإيمان بمعانيها التي سمَّاها المؤلف أحكامها؛ حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإيمان بأحكام صفاته)**، وقد سماها هكذا؛ لأن المعتزلة يقولون: عليمٌ بلا علم، عزيزٌ بلا عزة، حكيمٌ بلا حكمة!

فالأسماء على قولهم ليس لها معانٍ، وإنما وُضِعت هكذا! وهذا من الضلال البيِّن بل من الكفر بالله ﷻ.

أما المعتزلة فبعضهم يقول بأنهم كانوا فبانوا، وإلا فلا وجود لهم! فأنتم تنبشون القبور! فلماذا تذكرون مذاهبهم؟

وهو إثباتُ ما أثبتَهُ لنفسِه، وأثبته لـه رسولُه؛ من الأسماء الحسنى، والصفاتِ الكاملة العليا. .....

فنقول: هذا جهلٌ عظيم؛ فإن مثل هؤلاء لا يعرفون أن الأسماء تغيرت، لكن المعاني موجودة عند كثيرٍ من الناس في اعتقادهم.

فالأسماء والصفات لها معانٍ عظيمة، ولها أحكامٌ تتعلق بالرب ﷻ، وأحكامٌ تتعلق بالمخلوق، فلا بد أن تظهر آثار أسماء الله على الخلق، ولا بد أن يتعبَّد المسلم ربه بأسمائه وصفاته، وإن لم يتعبَّد فليس بمسلم، ولا بد أن يُعبَد اللهُ ﷻ بهذه الأنواع الثلاثة، وبأنه هو الخالق الرازق المدبِّر لكل شيء، الذي استوى على عرشه فوق جميع مخلوقاته، تعالى وتقدَّس، ولا بد أن يَتبرَّك بأسماء ربه؛ فإذا أراد أن يأكل يقول: «بسم الله»، وإذا أراد أن يدخل بيته قال: «بسم الله»، وإذا أراد أن يذبح ذبيحة قال: «بسم الله»، وإلا فإنها لا تكون حلالًا.

فهذه مِن أنواع العبادة في الأسماء والصفات، وليس المراد أن نأخذها ونتعلمها فقط؛ بل لا بد أن نتعبَّدَ ربنا بها؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ أي: اعبدوه وادعوه، تقول: يا رحمٰن، يا عزيز، يا كريم، يا جوَاد، وما أشبه ذلك، فلا بد من عبادة ربنا ﷻ بأسمائه وصفاته.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتوحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما أثبته لنفسه، وأثبته لـه رسولُه؛ من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا).

الكلام فيه قاعدتان:

الأولى: أننا لا نسمي ربنا ولا نصفه إلا بما سمى به نفسه، أو وصف به نفسه، وهذا هو معنى قول العلماء: أسماء الله وصفاته توقيفية.

.....

القاعدة الثانية: قوله: (الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا)؛ يعني: أن الله ﷻ لا يُوصَف إلا بالأحسن، وصفاته ﷻ لا تُوصَف إلا بالأحسن، وصفاته ﷻ كلها حسنى.

حُسنى: فُعلى، اسم تفضيل؛ أي: أنها لا يتطرق إليها نقصٌ ولا عيب، ويجب أن نفهم هذا، فإذا تطرق إلى الصفة أو الاسم شيء يحتمل أن يكون عيبًا، فإن هذا لا يدخل في أسماء الله ولا صفاته، فكثير من الناس لا يفهم هذا، فتجده يسأل: هل يوصف الله بكذا وكذا؟ فكل صفة أو اسم احتمل نقصًا أو عيبًا، لا يدخل في أسمائه وصفاته؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وله ﷻ الصفات العليا الكاملة التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيب.

وقد جاء في أحاديث كثيرة ثابتة عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»[1]. فهل كلتاهما مِن جهة واحدة؟!

هذا لا يجوز؛ لأنه يحتمل نقصًا، تعالى الله وتقدَّس؛ لأنه لو وُجِد مخلوق أو إنسان يداه من جانب واحد، فهذا عيب وشوهة، فكيف يَعتَقِد الإنسان أنَّ هذا هو المقصود؟! وهو عيب في المخلوق، تعالى الله وتقدس عن ذلك.

أما معنى قوله ﷺ: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»: أنَّ المخلوق يمينه أكمل من شماله، فالله ﷻ تعالى عن هذا، كلتا يدي ربي كريمة تامة كاملة، لا يلحقهما نقص، كما يلحق يَدَ المخلوقِ الشمال.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٣/١٤٥٨) برقم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

من غيرِ تشبيهٍ ولا تمثيلٍ، ومن غير تحريفٍ ولا تعطيل.

ولما خاطب ﷻ العرب خاطبهم بما يعرفون، قال ﷻ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٥]؛ لأنهم يعرفون أن الأخذ باليمين أقوى.

فيجب تطبيق القاعدة السابقة: «أن كل احتمال نقص أو عيب في الاسم أو الصفة، لا يدخل في أسماء الله وصفاته».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(من غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ)**.

التشبيه هو التمثيل، والتشبيه فيه احتمال، بخلاف التمثيل؛ فإنه ليس فيه احتمال، والذي جاء في كتاب الله نفي المثيل ونفي النِّدِّ، أما التشبيه فلم يأتِ في كتاب الله نفيُه ولا إثباته، ولكن اصطلح الناس على هذا.

فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(من غير تشبيهٍ)** لا نشَبِّهُ ربنا ﷻ بالمخلوقات؛ في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في ذاته، ولا في أفعاله.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولا تمثيلٍ)** لا نمثِّلُه بشيء من خلقه؛ لأنه واحدٌ أحدٌ، لا شبيه له، تعالى وتقدس، ولا مثيل له في ذاته، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله.

وكذلك حقّه الذي أوجبه على عباده يجب أن يكون له وحده، لا يُجعَل شيء منه لغيره، تعالى وتقدس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومن غير تحريفٍ)**.

التحريف مأخوذ من الحَرْف، وهو الجانب؛ أي: يجعل الكلام على حرف، فيجب أن تأخذه على مراد المتكلم، وتتعرف على مراده، وتقصد هذا الشيء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولا تعطيل)**.

وتوحيدُ الألوهيةِ والعبادة: .....

التعطيل مأخوذ من العَطَل، وهو الخُلُوُّ من الشيء، كما قال الله ﷻ: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥]؛ أي: عن العمل.

فلا يُعَطَّل ربنا ﷻ عن أوصافه، كما تعطِّله المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، وإن كان الأشاعرة يؤمنون بسبع صفات، وهو إيمان مدخول، وليس بصحيح، والبقية يوجبون تأويلها أو تفويضها، وكله شر؛ فالتأويل والتفويض تعطيل وتحريف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وتوحيد الألوهية)**.

هذا هو المهم؛ لأن الخلاف في توحيد الربوبية والأسماء والصفات قليل، وإن كان حدث فيما بعد، أمَّا توحيد الألوهية فقد عارضت كلُّ الأمم الرسلَ فيه. والألوهية هي أن يكون التألُّه لله وحده، وأنه هو الإلٰه الحق. والإلٰه اسم جنس؛ ولهذا يطلق على كل ما ألَّهه القلب، وهو العبادة؛ ولهذا قد يكون العاقل نفسُه عبدًا لشيء مملوكٍ له! لأنه غلب على قلبه واستوى عليه، فهو عبدٌ له، والدنيا قد تكون مألوهة، وكذلك الهوى، والصنم، والقبر، والنجم، وغيرها. فكل ما اتجه إليه الإنسان يطلب منه نفعًا أو دَفْعَ ضُرٍّ، أو تقرب إليه ليقرِّبَه عند الله؛ فهو إلٰه، والآلهة كثيرة لا حصر لها، وقد كره العلماء أن يسمى الإنسان «عبد الإلٰه»، وإن كان المسلمون يقصدون بهذه التسمية ربهم ﷻ، يقولون: الإلٰه اسم جنس، ولا يطلق على كل شيء؛ ولهذا جاء تركيب شهادة «أن لا إلٰه إلا الله» على النفي والإثبات؛ حتى يفيد الحصر، ويكون التألُّه محصورًا في الله ﷻ، فجاء النفي ثم جاء الاستثناء بقول: «إلا الله»، فهذا يُبطل كل تألُّه، ويُثبت التألُّه لله ﷻ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(توحيد الألوهية والعبادة)**.

وهو إفرادُه وحده بأجناسِ العبادة وأنواعها، وإفرادها، من غير إشراك به في شيءٍ منها، مع اعتقادِ كمال ألوهيته.

فدخل في توحيد الربوبية إثباتُ القضاء والقَدَر، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيءٍ قدير، وأنه الغني الحميدُ، .....

توحيد الألوهية هو توحيد العبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إفراده وحده بأجناس العبادة)**.

العبادة هي كل ما أمر الله ﷻ بها، وجاء بها الرسول ﷺ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأنواعها)**.

كثيرة؛ مثل: الدعاء، والذبح، والنذر، والسجود، والركوع، وغير ذلك من أنواع العبادة الكثيرة التي تبيَّنت بالنصوص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإفرادها من غير إشراكٍ به في شيءٍ منها، مع اعتقاد كمال ألوهيته)**.

أنه الإلٰه الحق الذي يجب أن يُعبد وحده، ولا يجوز أن يُعبد غيرُه ﷻ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فدخل في توحيد الربوبية إثباتُ القضاء والقدر)**.

عطف القَدَر على القضاء، وكأنه مغايِرٌ له، والظاهر أن القضاء والقَدَر شيءٌ واحد، وإن كان بعض العلماء يُفرِّق بين القضاء والقدر، فيقول: القضاء الشيء المَقضيُّ الذي انتهى، والقَدَر أعمُّ من هذا، فيدخل فيه الماضي والمستقبل، فهو الشيء الذي قُضِي، والشيء الذي لم

.....

يُقضَ. وبعض العلماء يقولون: إن القضاء والقَدَر شيءٌ واحد، وهو الظاهر.

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريفه للقَدَر: «هو قدرة الله»[1].

وخلاصة الأمر في هذا أنه لا بد للعبد الذي يؤمن بالقضاء والقدر أن يؤمن بأمور **أربعة**:

الأمر الأول: عِلْمُ الله الأزلِيُّ الشامِلُ لكل شيءٍ؛ فهو عليم بكل شيءٍ، وعلمه لا يَخرج عنه شيء.

الأمر الثاني: كتابة علمه ﷻ؛ فإنه عَلِم الأشياء قبل وجودها، وكَتَبها، ولا يمكن أن يقع الشيء على خلاف علمه ﷻ، والكتابة ليست لخوف النسيان أو خوف الفوت، وإنما لحكمة أرادها الله ﷻ، وحتى يؤمن بذلك عباده.

الأمر الثالث: كونه ﷻ ما شاء كان؛ أي: مشيئة الله العامة الشاملة.

الأمر الرابع: كونه هو الخالق وحده، وما سواه مخلوق.

فهذه الأمور الأربعة تسمَّى درجات الإيمان بالقَدَر، فلا بد منها، وهو داخل في ربوبيته؛ لأنه من أفعاله ﷻ، وإن كان في علمه؛ وعلمُه من صفاته الذاتية، تعالى وتقدس.

ومقصود الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا أن ينبِّه على الأمور التي خالف فيها أهلُ البدع.

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص٢٨).

وقد اختل الإيمان بالقَدَر عند طوائف من أهل الإسلام؛ مثل القَدَرية، والجَبْرِية، وسبب هذا أنهم اتَّبَعوا عقولهم، وعقولُهم قاصرة، فلا يمكن أن يصل عقلُ الإنسان إلى الإحاطة بأفعال الله ﷻ، أو بصفاته، أو بشيء من ذلك.

وأكبر شبهة اعترضتهم أنهم رأوا أنَّ القَدَر يتعارض مع الشرع ـ بحسب مرئياتهم ـ، فقالوا: كيف يعلم الله ﷻ أنَّ فلانًا ـ مثلًا ـ من الناس يَكفُر، ثم يأمره بالإخلاص والتوحيد والدين؟ هذا لا يتَّفق!

ثم كيف يخبر أن بعض عباده في النار، ثم يأمرهم باتباع الحق وتحصيل الأعمال التي بها دخول الجنة؟

فقد أمر الله ﷻ أبا لهبٍ أن يؤمن، وأنزل فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ١، ٥].

نقول: إنَّ هذا هو علم الله في هذا العبد، والعبد ليس مُرغَمًا على ذلك بالقوة، ولكن الله ﷻ عَلِم أنَّ هذا العبد سيَكفُر، وأنه سيستمر على كفره، فكتب ذلك، وأخبر به، فهو يُخْبِر عن علمه؛ فالقدر لا يُرْغِم أحدًا ولا يجبِر فلانًا؛ ولهذا أنكر أهل السُّنَّة أن يقال: فلان مُجبَر، أو أن الله يُجبِر، قالوا: إن الله أعظم من أن يُجبِر أحدًا، الله يخلق ويشاء، تعالى وتقدس؛ أي: أنه جعل الإنسان مريدًا لما يفعله، وجعله فاعلًا له حقيقةً، فهذا خَلْقُه.

وما سواه فقيرٌ إليه من كل وجهٍ.

ودخل في توحيدِ الأسماء والصفاتِ إثباتُ جميعِ معاني الأسماء.....

كما خالفوا أيضًا في الخلق العام الذي يكون صفة الله ﷻ، فلم يؤمنوا به على عمومه؛ فقالوا: إن الإنسان يخلق أفعاله. وكل هذا من أجل هذه الشُّبَه، وسيأتي التنبيه على هذا.

والإيمان بالقَدَر ركنٌ من أركان الإيمان، لا يتم إيمان الإنسان إلا بذلك.

وفي **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(القضاء والقَدَر)** القضاء والقَدَر من صفات الله؛ لأنهما عبارة عن علم الله الأزلي، عَلِمَ كلَّ شيء، ثم كتب عِلْمَه ﷻ، ثم خَلَق، وهو الخالق لكل شيء، ثم مشيئته الشاملة العامة التي لا يخرج عنها شيء، والقضاء لا يخرج عن هذه الأمور الأربعة: «عِلْمُ الله، وكتابتُه، وخَلْقُه كلَّ شيء، وكونُه ﷻ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وما سِواه فقيرٌ إليه من كل وجهٍ)**.

قوله: (ما سواه)؛ أي: كلُّ الخلق، فالفقر صفة ذاتية للمخلوق، ومعنى (ذاتية)؛ أي: ملازِمة له لا ينفك عنها؛ فالفقر: صفةُ المخلوقِ، والغنى: صفةُ اللهِ الذاتيةُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ودخل في توحيد الأسماء والصفات إثباتُ جميع معاني الأسماء)**.

المعاني هي المرادة من الحروف في نطق أسماء الله تعالى، وليس

الحسنى لله تعالى، الواردة في الكتاب والسُّنة.

المراد الحروف فقط دون المعاني؛ فالإنسان يؤمن بمعاني أسماء الله سبحانه، ولا ينطق الاسم نطقًا مجردًا خاليًا عن المعاني.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الأسماء الحسنى لله تعالى)**.

فسَّرَ هذا بأنه عليمٌ ذو علم ويعلم، فهو ﷻ عليمٌ وله علم، ويعلم كل شيء، تعالى وتقدس، وكذلك هو ﷻ حليم ذو حلم ويحلم، وكذلك هو ﷻ قديرٌ له قدرة ويقدر، وغير ذلك من المعاني التي ينكرها المتكلمون؛ ولهذا نص عليها رَحِمَهُ اللَّهُ. فالمقصود من **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ودخل في توحيد الأسماء والصفات إثباتُ جميع معاني الأسماء الحسنى لله تعالى، الواردة في الكتاب والسُّنَّة)**، الرد على المُؤَوِّلة والمُعَطِّلة الذين جعلوا أسماء الله مجرد أسماء بدون معانٍ، مثل المعتزلة؛ فهم يثبتون الأسماء وينفون المعاني، والمعاني هي الصفات، وهي الأصل في هذا.

والفرق بين الأسماء والصفات: أن الأسماء هي ما دلت على المسمى؛ فأسماء الله هي ما دلَّت على ذاته، تعالى وتقدس.

والصفات هي المعاني القائمة بذات الله ﷻ. وهذا فرقٌ واضح.

ثم الأصل في هذا: الصفاتُ، واشتُقَّت منها الأسماء، وليس معنى الاشتقاق هنا أنَّ الصفات سابقةٌ، كما قد يتوهم مُتوهِّم من ذلك، ولكن معنى ذلك: أنها أُخِذَت من معانٍ ثابتة عظيمة لله ﷻ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

ثم لا يجوز التفرقة بين صفةٍ وأخرى، أو بين اسمٍ وآخر، كما هو

والإيمانُ بها **ثلاثُ درجاتٍ**:

إيـمانٌ بالأسماءِ، وإيـمانٌ بالصفات، وإيـمانٌ بأحكامِ صفاته.

كالعلمِ بأنه عليمٌ ذو علم، ويعلمُ كل شيء؛ قديرٌ ذو قدرةٍ، ويَقدِر على كل شيء، إلى آخر ما له من الأسماء المقدَّسة.

ودخل في ذلك: إثباتُ علوه على خلقِه.....

مذهب الأشاعرة الذين يؤمنون بسبع صفات، أما البقية فيوجبون تأويلها أو تفويضها وَفقًا لمذهبهم.

فهذا مذهبٌ باطل، وهو أيضًا متناقض، ما الذي يجعلهم يؤمنون بسبعٍ، ويؤوِّلون البقية؟!

فالطريق فيها واحد، يجب أن نؤمن بها ونؤمن كذلك بمعانيها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والإيمان بها ثلاث درجات: إيمانٌ بالأسماء، وإيمانٌ بالصفات، وإيمانٌ بأحكام صفاته)**.

أحكامها: هي المعاني التي دلت عليها، فهو عليمٌ وله علم ويعلم، سميعٌ له سمع ويسمع، تعالى وتقدس، وهذا الذي أُريدَ منها، وتَعرَّف اللهُ ﷻ بها إلى عباده، فهم يعرفونه بذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(دخل في ذلك)**.

أي: في تعريف التوحيد، وسبق أنه قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(دخل في ذلك إثباتُ أسمائه وصفاته)** وهذا منها، فلماذا نص عليه رَحِمَهُ اللَّهُ؟

الجواب: نص على ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ؛ للاهتمام به، ولأن الخلاف فيه ظاهر، والمخالف ـ كما هو معروف ـ قوله خلاف الأدلة الشرعية، وخلاف الأدلة العقلية، وأدلة الفطرة، ولذا فالخلاف فيه خلافٌ لا يجوز

.....

أن يكون خلافًا أصلًا؛ فالمخالف ضالٌّ ضلالًا بيِّنًا، ولهذا نص على ذلك. وكثير من العلماء يُكَفِّرون مَن أنكر علو الله؛ لظهور الأدلة في ذلك، ومعلومٌ أن الذي ينكر العلو لا بد أنه يقر بضد العلو، إذًا أين يكون الله؟ هل يكون في السُّفل؟!

يقول الأشاعرة الذين يزعمون أنهم هم أهل السُنَّة: إن الله في كل مكان! هل يوجد في أجوافهم؟! وفي الحمامات؟! وفي الأماكن القذرة والخبيثة؟! تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا عظيمًا. هذا من أسوأ ما يكون، وهذا أخبث الأقوال وأضلها، مع أنَّ العلم بهذا علمٌ فطريٌّ عقليٌّ شرعيٌّ إجماعي؛ فقد أجمع الرسل على هذا، فقد أخبر موسى عليه السلام فرعونَ بأنَّ ربه في السماء، وأراد فرعونُ أن ينكر هذا بالأمور المنكرة، فقال لوزيره: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾ [غافر: ٣٦]. فعلو الله أمر فطري، والإنسان إذا قصد ربه ودعاه فإنه يدعوه من فوق.

يروى أن أحد أئمتهم كان في مسجد النبي ﷺ يقرِّر هذا المذهب الخبيث، كما «في الحِكاية المعروفة: أنَّ الشيخَ أبا جعفرٍ الهمداني حضرَ مرَّةً، والأستاذُ أبُو المعالِي يَذْكُرُ على المِنبرِ: «كانَ اللهُ ولا عرْشَ» ونفَى الِاستِوَاءَ ـ على ما عُرِفَ مِنْ قولِهِ وإنْ كانَ في آخِرِ عُمُرِهِ رجعَ عنْ هذِهِ العقِيدَةِ، وماتَ على دِينِ أمِّهِ وعجَائِزِ نَيسَابُورَ ـ قالَ: فقالَ الشيخُ أبُو جعفرٍ: «يا أُستَاذُ دَعْنَا مِنْ ذِكْرِ العرْشِ ـ يَعنِي: لأَنَّ ذلِكَ إنَّما جاءَ في السَّمْعِ ـ أَخْبِرْنَا عنْ هذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نجِدُهَا فِي قُلوبِنَا: ما قالَ عَارِفٌ قَطُّ: «يا اللهُ» إلَّا وجَدَ مِنْ قَلْبِهِ معنًى يَطْلُبُ العُلُوَّ لا يَلْتَفِتُ يَمْنَةً ولَا يَسْرَةً، فكَيْفَ نَدْفَعُ هذِهِ الضَّرُورَةَ عَنْ قُلُوبِنَا؟!». فَصَرَخَ أبُو الْمَعَالِي

.....

ووَضَعَ يدَهُ على رَأْسِهِ وقالَ: «حَيَّرَنِي الهمداني»، أَوْ كمَا قالَ، ونَزَلَ»[١]!

لماذا حيَّره؟ لأنه لم يعرف الحق أصلًا، فهو حائر من الأصل، ولكن جاءه بشيءٍ يجده هو في نفسه، ولم يستطع أن يدفعه، فقال: حَيَّرَني الرَّجلُ!

ومن العجيب أنَّ هذا الرجل قال لتلاميذه بعد ذلك: وجدت دليلًا على أن الله ليس فوق. فقالوا: ما الدليل؟

قال: الله أخبرنا عن يونس حينما التقمه الحوت وهو في بطن الحوت وفي بطن البحر، ورسولنا ﷺ يقول: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بنِ مَتَّى»[٢]، فإذا كان الرسول قد عُرِج به إلى السماء الدنيا، ويونس في بطن البحر في بطن الحوت، فهم سواء بالنسبة إلى الله!

انظر إلى هذا الدليل الأعمى، مع أنه لم يأتِ الحديث هكذا؛ بل هو مخترِعُه أو جرى على لسانه؛ فالحديث الثابت في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: **«مَن قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِن يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ»**[٣]، وليس فيه قول: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بنِ مَتَّى».

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٦١)، والعلو للعلي الغفار، للذهبي (ص٢٥٩)، والعرش، للذهبي (١/ ١٥٣).

(٢) ذكره الزمخشري في تفسيره (١/ ٤٥٤)، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٦٤): غريب جدًا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ [النساء: ١٦٣] (٦/ ٥٠) برقم (٤٦٠٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام، وقول النبي ﷺ: **«لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»** (٤/ ١٨٤٦) برقم (٢٣٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

واستوائه على عرشِه، .....

والمقصود أن علو الله ﷻ أمرٌ ظاهر، وقد أوصل بعض العلماء أدلة الكتاب والسُّنَّة في ذلك إلى ألف دليل، ولكن كثرة الأدلة لا تفيد إذا انطوى قلب الإنسان على الباطل وتربى عليه، وإلا من أين نزل القرآن؟! يقول الله ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، ويقول الله ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ الآية [النحل: ٥٠]، ويقول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ويقول الله ﷻ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. والعُروج: هو الصعود إلى العلو.

والأدلة كثيرة جدًّا في إثبات علو الله ﷻ، وما أكثرَ الأدلةَ في هذا! ومع هذا فالأدلة كلها مُلغاة عند هؤلاء، فإذا ألجأتهم الأدلة ولم يجدوا طريقًا لها قالوا: هذه أمور ظنِّيَّة! يقال لهم: هذه أدلة القرآن. فيقولون: نعم، ثبوتها يقينيٌّ، ولكن دلالتها ظنية! أما الأحاديث فالأمر فيها سهل عندهم! يقولون: هذه أخبار آحاد لا نقبلها! هكذا رُدَّ الحقُّ!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (واستوائه على عرشه).

الاستواء غير العلو، ولكنه مِن أدلة العلو؛ فأدلة العلو عقلية وفطرية وشرعية، أما الاستواء فأدلته شرعية فقط؛ كإخبار الله ﷻ عن شيء فَعَله؛ خلق السمٰوات والأرض، وخلق العرش، ثم استوى عليه.

أما الاستواء فهم يقولون: استوى؛ أي: استولى. يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه اللام مثل نون اليهود، حينما قيل لهم: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، دخلوا يزحفون على مقاعدهم،

ونزولِهِ كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا.....

ويقولون: حبة! خالفوا الفعل وخالفوا القول[١]. فهؤلاء أرادوا أن يكونوا مثلهم ـ نسأل الله العافية ـ.

قالوا: استولى؛ أي: استوى على السماء، وهو مستوٍ على الأرض، وعلى كل مكان! يستدلون ببيت مصنوع[٢]، ويتركون آيات الله ﷻ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ونزوله)**.

النزول من أدلة العلو، ولكن لا يؤمنون به، ويكفرون برب يزولُ عن مكانه، ونحن نقول: نؤمن برب يفعل ما يشاء، تعالى وتقدس، هؤلاء يُعجزون الله ﷻ؛ أن لا يفعل ما يشاء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا)**.

مِن الشُّبَه التي يلقونها على الناس، يقولون: النزول حُدِّد في آخر الليل، ولو قلنا به فإن آخر الليل يختلف باختلاف الأقاليم، فعندنا يكون آخر الليل، وعند مَن بعدنا ينتقل آخر الليل إليهم، ثم الذين بعدهم، ثم الذين بعدهم، ثم الذين بعدهم، حتى يمضي أربع وعشرون ساعة!

ومبدأ هذه الشبهة أنهم تصوروا النزول مثل نزولهم؛ أي: مثل نزول الأجسام التي إذا نزلت من مكانٍ خلا منها هذا المكان، وصار

---

(١) انظر: نونية ابن القيم الكافية الشافية (ص١٢١).
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

نـونُ الـيـهـودِ ولامُ الـجَـهْـمِـي هـمـا ... فـي وَحْـيِ رَبِّ الـعـرشِ زائـدتـانِ

(٢) يُشير إلى قول الشاعر:

قـد اسـتـوى بِـشـرٌ عـلـى الـعـراقِ ... مـن غـيـرِ سـيـفٍ ودمٍ مُـهْـراقِ

هذا البيت يُنسَب للأخطل. انظر: فتاوى ابن تيمية (٥/١٤٦)، ومختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٩١٢).

.....

ذلك المكان فوقه! وهذا البلاء الذي دهاهم هو التشبيه الذي استقر في نفوسهم، فظنوا أن صفات الله كالصفات التي تصدر منهم ويعرفونها.

إن أفعال الله ﷻ وصفاته توحيد، وهي تخصه وحده، لا يجوز أن يشاركه مخلوق فيها، وهؤلاء لم يعرفوا هذا، ولم يؤمنوا به! فهم شبَّهوا أولًا، ثم عطَّلوا ثانيًا، وكل مُعَطِّل مُشَبِّه، وهذا هو البلاء الذي لم يتخلصوا منه، وليس سبب ذلك أن عقولهم قاصرة، ولكنهم تلقَّوا هذه المبادئ ممن أحسنوا الظن بهم، فاستبعدوا أن يكونوا على باطل؛ ولهذا صار بعضهم إذا قرأ القرآن اضطرب وتحير؛ لأنه لا يتفق مع هذه العقيدة؛ بل ينافيها كل المنافاة؛ فإما أن يُعرِض نهائيًا حتى يبقى على العقيدة الفاسدة، وإما أن يحصل له الاضطراب والحَيرة.

فالنزول يليق بعظمته، وإن تعدد بالنسبة للخلق، فإنه لله واحد، فالسماء مملوءة بمن يسَبِّحون الله ويكَبِّرونه ويهَلِّلونه، لا يَفتُرون، والأرض كذلك مملوءة بمن يدعونه ويناجونه ويسبحونه، وهو ﷻ يستمع إليهم كلهم في آنٍ واحد، لا يشغله سماع هذا عن سماع هذا؛ فالنزول من هذا الجنس.

وكذلك يوم القيامة يجمع خلقه كلهم ويحاسبهم في آنٍ واحد، كل واحد يظن أنه يحاسَب وحده، وهو يحاسِب الكل ﷻ.

فلا يجوز أن تقاس أفعاله بأفعال الخلق الضعفاء، وإنما يجب أن تكون خاصةً به ﷻ، ولو علموا هذا الشيء لسَلِموا من هذا الانحراف وهذا الضلال البَيِّن.

وقد نص الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على استوائه ﷻ على العرش، ونزوله إلى

.....

سماء الدنيا، على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته؛ لأن الخلاف في هذا مشهور، مع أن هذا أمرٌ ظاهرٌ جلي، وهو كسائر صفاته. والمخالف فيه ليس معه إلا مجرد اتباع المذهب، والتعلق بشُبَهٍ باطلة.

وقد اجتمعت الأدلة كلها على علو الله ﷻ؛ دليل الفطرة، ودليل العقل، ودليل السمع. ودليل إجماع الرسل وأتباعهم.

وعلو الله ﷻ من صفات ذاته، بمعنى أنه دائمًا هو العلي الأعلى، لا يمكن أن يكون شيء فوقه.

وإذا قيل: إنه ينزل إلى السماء الدنيا، أو: إنه ينزل إلى الأرض يوم القيامة؛ ليفصل بين خلقه، فهو ينزل، وهو فوق كل شيء، وهو فوق عرشه عالٍ على جميع خلقه، لا يمكن أن يكون شيءٌ فوقه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(علوه على خلقه، واستوائه على عرشه)**.

من صفات ذاته؛ لأنه ملازم له، تعالى وتقدس.

أما الاستواء فلا يُعلم إلا بالخبر الذي جاء عن الله ﷻ.

أما كون الأدلة اجتمعت في هذا، فهذا أمرٌ ظاهر؛ لأنه ﷻ لما خلق الخلق لا يمكن أن يكون الخلقُ في ذاته، هذا كُفرٌ بالله ﷻ، ولا يمكن أن يكون الخلق فوقه، تعالى وتقدس؛ فيتعين أن يكون هو فوق الخلق.

وليس معنى فوق الخلق أنه أفضل منهم كما يقوله مَن يقوله من المُحرِّفين، فهو فوقهم ذاتًا وقَهرًا وقَدْرًا، فله العلوُّ المُطلَق.

وهذه هي معاني العلو؛ علو الذات، وعلو القَدْر في قلوب عباده

.....

وليس في قلوب هؤلاء ونحوهم، وعلو القهر؛ فهو القاهر فوق عباده ﷻ، كما ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه في مواضعَ متعددةٍ.

أما الفطرة فذلك أمرٌ مركوزٌ في نفوس الناس؛ فأيُّ داعٍ يدعو ربه يرفع يديه إلى السماء، وليست السماء قِبْلة الدعاء، كما يقول المحرِّفون حتى يتخلصوا من هذه الفطرة وهذه الضرورة الموجودة في نفوسهم، فهم يقولون: إن الإنسان عندما يدعو يستقبل السماء.

وهذه مغالطة ولا تُجْدي شيئًا؛ فالداعي يطلب ربه من فوق، ورفع الأيدي إلى رب العالمين من أسباب الإجابة، كما جاء في الترمذي في حديثٍ حسن، يقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَن يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»[(١)]؛ أي: بلا إجابة.

وكذلك في الحديث الذي رواه مسلم، الذي ذكر فيه النبي ﷺ «**الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»[(٢)].

وكان ﷺ يرفع يديه في الدعاء كثيرًا في مواضعَ متعددةٍ.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الصلاة، باب الدعاء (٢/ ٧٨) برقم (١٤٨٨)، والترمذي في سننه، في كتاب الدعوات، باب (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء (٢/ ١٢٧١) برقم (٣٨٦٥) من حديث سلمان الفارسي ﷺ. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٢/ ٧٠٣) برقم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

.....

أما الإجماع فقد أجمعت رسلُ الله ﷺ وكتبُه، وأتباعُ الرسل والذين آمنوا بكتب الله: على أن الله فوق.

ففي «صحيح البخاري»: «كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِن فَوْقِ سَبْعِ سَمَواتٍ»(١).

ولا أحد يُنكر هذا؛ فهو إجماعٌ من المؤمنين على أن الله فوق.

أما دليل السمع فأكثر مِن أن يُحصى، وقد جاءت أنواعٌ متنوعة من أدلة السمع على علو الله ﷻ؛ مرةً يذكر ﷻ أنه ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى: ١٧].

ومرةً ﷻ يذكر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

ومرةً يذكر أنه فوق خلقه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

ومرةً يذكر أنَّه في السماء؛ قال ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، إلى غير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٩] (٩/ ١٢٤) برقم (٧٤٢٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

.....

وفي السماء؛ أي: في العلو، كما يقول ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ١١]؛ أي: على الأرض.

وتُطلَق السماء ويراد بها مُجرَّد العُلُو، وكلاهما جائز.

والعرش مخلوقٌ خلَقَه الله ﷻ، والله غنيٌّ عنه وعن غيره، والعرش فقيرٌ إليه، والله الذي يحمله بقدرته ﷻ، ولكنه خلقه فاستوى عليه لحكمةٍ أرادها ﷻ.

والعرش في اللغة: هو سرير المَلِك الذي يجلس عليه، كما قال الله ﷻ في قصة المرأة التي تملك أهل اليمن في قصة الهدهد: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٣، ٢٤]، قوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾؛ أي: كرسي تجلس عليه. ثم قال ﷻ: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [النمل: ٣٨]. فالعرش هو الكرسي المرتفع الذي يُجلَس عليه.

وعرش الله هو أكبر المخلوقات وأوسعها وأعظمها.

والعرش هو سقف المخلوقات، وليس فوق العرش مخلوق؛ بل ليس فوق العرش إلا رب العالمين، تعالى وتقدس، ثم مع هذا كله ينزل إذا شاء إلى سماء الدنيا، ونزوله وهو على عرشه، تعالى وتقدس، لا

على الوجهِ اللائقِ بجلالِه وعظمته.

يكون شيءٌ فوقه، وإنما يلتبس هذا على المُشَبِّهة الذين لا يعرفون من صفات الله إلا ما يعرفون من أنفسهم!

قالوا: إذا نزل يكون العرش فوقه والسماء فوقه!

فنقول: هذا النزول نزول المخلوق الضعيف، أما نزول الله فهو خاصٌّ به، ليس كنزول المخلوق الذي إذا نزل عن الشيء صار الشيء فوقه.

إذا نزلت من السقف يكون السقف فوقك، هذا نزول المخلوق الصغير الضعيف، أما نزول الله ﷻ فهو خلاف ذلك؛ بل أفعاله كلها خلاف أفعال المخلوق.

وقد ذكر ﷻ أنه يُحاسب عباده في آنٍ واحد، كل واحدٍ يرى أنه يُحاسَب وحده، وهو يحاسب الخلق كلهم؛ مما يدلك على أن أفعال الرب ﷻ خلاف أفعال العباد، وهكذا الآن في الدعاء والصلاة والاتجاه، الأرض مملوءة بمن يتجه إلى ربه ويدعوه، وهو يستمع إليهم، ولا يَشْغَله استماع هذا عن استماع الآخر، وهكذا.

فأفعال الله ﷻ لا يجوز أن تُقاس بأفعال المخلوقين، ونزوله نزول حقيقي لا كما يقول المؤَوِّلة: نزول أمره، أو نزول رحمته، أو نزول مَلَك، أو ما أشبه ذلك؛ فهذا كله ضلالٌ وتحريفٌ لكلام الله ﷻ ومعانيه.

قوله رحمه الله: (على الوجه اللائق بجلاله وعظمته).

ودخل في ذلك إثبات الصفات الذاتية التي لا ينفكُّ عنها؛ كالسمعِ، والبصر، والعلمِ، والعلو، ونحوها.

والصفاتِ الفعليةِ:.....

لا يجوز للإنسان أن يتصور الاستواء، أو النزول، أو أي فعل من أفعال الله؛ كفعل الخلق، تعالى الله وتقدس؛ هذا شركٌ بالله ﷻ.

ولا ينفك هؤلاء المتكلمون ـ الذين يعطلون الله عن أسمائه وصفاته ـ عن الشرك؛ فقد تصوروا أن هذه الأسماء وهذه الصفات كصفات المخلوقين، وهذا من الشرك في الأسماء والصفات، وهو أكبر من الشرك في العبادة وأعظم ـ نسأل الله العافية ـ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ودخل في ذلك إثباتُ الصفات الذاتية التي لا ينفكُّ عنها؛ كالسمع، والبصر، والعلمِ، والعلو، ونحوها)**.

أي: أنها تكون ملازمة لله ﷻ دائمًا وأبدًا.

وقد مثَّل لها رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: كالسمع، والبصر، والعلم، والعلو؛ فجعل العلو من صفات الذات.

ومعنى ذلك: أنه ﷻ دائمًا عالٍ، وإن نزل إلى السماء الدنيا فهو العلي الأعلى، وإن نزل إلى الأرض يوم الحساب نزل وهو على عرشه فوق سمٰواته وفوق كل شيء؛ لأن علوه صفة ذات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والصفات الفعلية)**.

المقصود بهذا: أن يبيِّن أن صفات الله ﷻ **قسمان**:

وهي الصفات المتعلقةُ بمشيئته وقدرته؛ كالكلامِ، والخلق، والرِّزْقِ، والرحمةِ، .....

القسم الأول: صفات تتعلق بمشيئته؛ بمعنى: أنه يفعلها إذا شاء، وهي التي تسمى الاختيارية ـ؛ أي: أنه يفعلها باختياره ـ أو الفعلية.

القسم الثاني: الصفات التي يكون متصفًا بها دائمًا وأبدًا، وهي التي يُعبَّر عنها بصفات الذات؛ كالحياة، والعلم، والسمع، والبصر، وما أشبه ذلك.

لا يضرنا كوننا لا نفرق بين هذا وهذا، وإنما الواجب أن نؤمن بجميع ما أخبرنا به الله ﷻ عن نفسه من صفاته وأسمائه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والصفات الفعلية، وهي الصفات المتعلقة بمشيئته وقدرته: كالكلام، والخلق، والرِّزْقِ، والرحمة).

جَعَل الكلام، والخلق، والرزق، والرحمة: من الصفات الفعلية.

أما الرحمة فقد يقال: إن الرحمة صفة ذات، ولكن المقصود أن الرحمة تكون متعديةً؛ فالأفعال المتعدية يكون لها أحكام غير الأفعال اللازمة، وكلها يجب أن نؤمن بها كما أراد الله ﷻ. قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «آمنتُ بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله»[1].

---

(١) ذكره ابن قدامة في لمعة الاعتقاد (ص٧): الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله (مطبوع ضمن الفتوى الحموية الكبرى) (ص٣).

.....

والرحمة قد تُطلَق على آثار رحمة الله، كما سميت الجنة رحمةً؛ كقوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٧]؛ أي: في الجنة؛ لأنها من آثارها.

وجاء في «الصحيحين» وغيرهما: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِندَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِن ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَن وَلَدِهَا؛ خَشْيَةَ أَن تُصِيبَهُ**»[1]، فإذا كان يوم القيامة ضمَّ هذا الجزء إلى التسع وتسعين، فرَحِمَ بها عباده.

فهذه رحمةٌ مخلوقة، وهي من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي الرحمة التي هي صفته ﷻ، وإنما هي أثر من آثارها. وأهل الباطل لا يؤمنون بهذا!

المقصود أن الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وقدرته: هي التي يفعلها بمشيئته؛ أي: أنها لا تكون ملازِمة له؛ إذا أراد أن يفعلها فعلها، وإذا أراد ألَّا يفعلها لا يفعلها، ومثَّل لها ﷺ بالخلق والرزق، والرحمة المتعلقة بالعباد، وليست الرحمة التي هي صفته؛ بل هي الرحمة التي هي آثارها؛ لأن الرحمة صفة ملازِمة له ﷻ.

الرحمة التي هي فِعْلُه هي التي تكون من أثر الرحمة التي هي صفته، وهي مخلوقة، فالجنة رحمته، كما قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب: جعل الله الرحمة مائة جزء (٨/٨) برقم (٦٠٠٠)، ومسلم في صحيحه، في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤/٢١٠٨) برقم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

والاستواء على العرشِ، والنزول إلى السماءِ الدنيا كما يشاء.

أي: في الجنة. وفي «الصحيحين» يقول الرسول ﷺ: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِندَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِن ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَن وَلَدِهَا؛ خَشْيَةَ أَن تُصِيبَهُ**»[1]. هذا أثر الرحمة، كما أن العذاب والنار مِن آثار غضبه ﷻ، كما قال ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا**»[2]. فقوله «عذابي»؛ أي: أَثَر السَّخَط.

إذًا الرحمة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الرحمة التي تكون من آثار الرحمة، وهي مخلوقة، وهي التي تتعلق بالعباد، وتكون من الفعل؛ أي: من آثار الرحمة التي يفعلها إذا شاء؛ فيرحم هذا إذا شاء، ويمنع هذا إذا شاء.

القسم الثاني: الرحمة التي هي من صفته، وهذه من صفات الذات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا كما يشاء).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠] (٦/١٣٨) برقم (٤٨٥٠)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٨٦) برقم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأن جميعها تُثْبَتُ لله من غيرِ تمثيلٍ .....

الاستواء من صفات الفعل، والنزول إلى سماء الدنيا كما يشاء، فذلك كل ليلة.

ولا يُشكِل على الإنسان الذي يعرف صفات الله ﷻ أن نزوله يكون آخر الليل، فكونه آخر الليل لا يختلف بالنسبة لله ﷻ، هو يختلف بالنسبة للمخلوقين كما مَثَّلْنا بأفعاله ﷻ.

ويُشكِلُ مثل هذا على أولئك الذين لا يؤمنون بأن صفات الله خاصة به، ولا يُشبِهُه فيها أحد؛ يقولون: إذا قلنا بذلك لزم أن يكون النزول مستمرًّا في جميع الأوقات بالليل والنهار. وهذا اللزوم يقع لو كان على المعهود الذي يعهدونه؛ أي: نزول الأجساد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والنزول إلى السماء الدنيا، كما يشاء)**.

يتعلق النزول إلى السماء الدنيا بمشيئته.

والقاعدة عند أهل السُّنَّة: أن الله له صفات ذاتية، وصفات فعلية، وهذا لا يوجد عند أهل البدع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأن جميعها تُثْبَتُ لله من غير تمثيلٍ ولا تعطيل)**.

جاء في بعض النسخ (من غير تشبيه)، وأنا لا أدري: هل هذا ثابت، أم أن الطابع زاد التشبيه؟؛ لأن كلمة تمثيل تغني عنها.

وقوله: (من غير تمثيل)؛ أي: أن يجعل له مثلًا، والله ﷻ يقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤] ليس له مثل، تعالى وتقدس، فلا تضرب له الأمثال، تعالى وتقدس؛ لا الأمثال التي يستعملها الفقهاء، وهي التي يجمعها علة، ويستوي فيها الأصل مع الفرع، ولا الأمثال التي يستعملها المتكلمون التي أخذوها من المنطق؛

.....

فكلها لا يجوز أن يُضرَبَ لله ﷻ فيها المَثَل، مع أنهم يستعملونها في حق الله، تعالى وتقدس! التمثيل يدخل في الصفة الواحدة، ويدخل في الحق، ويدخل أيضًا في الخلق، ويوجد كثير من الناس يمثِّل رب العالمين، ويسمونه التشبيه، وقد تعارفوا على هذا؛ فالتشبيه في الواقع **قسمان**:

القسم الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا ليس كثيرًا، وإنما عند بعض الفِرَق الضالة.

القسم الثاني: تشبيه المخلوق بالخالق، وهذا كثير فيمن يدَّعي الإسلام، مثل من يقصد القبر ويدعوه ويستنجد به، ويرى أنه يكشف ضره؛ فكل عابد للمخلوق قد شَبَّه ذلك المخلوق برب العالمين؛ ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]؛ لأنهم يجعلون لله أندادًا، وهذا هو التشبيه. ويُروى أن رجلًا قال للنبي ﷺ: «ما شاء اللهُ وشِئتَ»، فقال له النبي ﷺ: «**أجعَلْتَني لله ندًّا؛ بل ما شاء الله وحده**»[1]. فلا يجوز أن تجمع صفة الرب مع صفة المخلوق بالواو التي تدل على مطلق الجمع فقط، لا يجوز ذلك حتى في اللفظ، فاللفظ يكون تمثيلًا؛ فيجب على العبد أن يتنزَّه عن ذلك، ويكون بعيدًا عنه.

والمقصود بالتمثيل: هو أن يُجعَل لها مِثلٌ، وهو الشِّبْه. ولكن الشبه والتشبيه ليسا من الألفاظ التي جاءت في القرآن ولا في أحاديث

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٢٧٤) برقم (٧٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٤٤) برقم (١٣٠٠٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٩٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ولا تعطيل، وأنها كلها قائمة بذاتِه، .....

رسول الله ﷺ، وإنما جاء نفي المثيل، والنِّدِّ، والكُفُؤ، والسَّمِيِّ، وما أشبه ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولا تعطيل)**.

التعطيل مأخوذ من الخُلُوِ والفراغ، كما قال ﷻ: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: ٤٥] مُعَطَّلة عن العمل، تركها أهلها؛ لأن الله أهلكهم، وتقول العرب: جِيدٌ عاطل، والجِيْد: هو الرَّقَبة، وعاطل؛ أي: ليس فيه حُلِي، فعادة المرأة أن تضع على رقبتها حُليًّا تتزين به، فإذا لم يكن فيها شيء، قالوا: عاطل؛ أي: خالٍ من الحُلِي.

والتعطيل هو تعطيل الرب ﷻ من صفاته، وقد قسمه العلماء إلى أقسام؛ كتعطيل الرب ﷻ عن أفعاله وأوصافه، أو تعطيله من كونه ﷻ هو المُدَبِّر المصَرِّف للكون، المُوجِد له، فيكون تعطيل المخلوق من الخالق عكس الأول، كما تقوله الفلاسفة والملاحدة الذين لا يؤمنون بدين الله ﷻ، ويقولون: إن هذا الكون وُجد هكذا، وإنه انفصل من بعض الكواكب واصطدم؛ فأصبحت الأرض في مكان، والكواكب في مكان، وهكذا، وسيستمر إلى ما لا نهاية، والإنسان يكون ذرة تراب في هذه الأرض فقط، ولا يوجد بعث، ولا جنة، ولا حساب، ولا رب!

وهذه العقيدة الخبيثة توجد الآن بكثرة، وهذا نوع من التعطيل، وهو نهاية الكفر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأنها كلها قائمة بذاته)**.

أي: أن هذه الصفات قائمة بذاته، وهذا لا يخالف ما سبق مِن أن الصفات تنقسم إلى **قسمين**:

وهو موصوف بها، وأنه تعالى لم يَزَلْ ولا يزالُ يقولُ ويفعلُ، .....

القسم الأول: صفات ذات، وهي التي تقوم بذاته، وتكون ملازمة له ﷻ.

القسم الثاني: صفات الفعل، وهي الصفات التي يفعلها بمشيئته ﷻ.

والذات لم تأتِ في كتاب الله ﷻ، ولكن هذا أمر لا بد منه؛ فقد قال ﷻ: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨] وهو المقصود، فنفسُه ذاته، تعالى وتقدس، على القول الصحيح الذي صححه أئمةُ المسلمين وكبارُ علمائهم، وإن كان بعضهم يرى أن النفس صفةٌ، ولكن الصواب هو القولُ الأول.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهو موصوف بها)**.

أي: يجب أن نصفه بها، ونتعرف عليها، ونؤمن بها، ونتقرب إليه بوصفه بها، ونُثني عليه بها؛ فهي عبادة يتعبد العبد بها إلى ربه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأنه تعالى لم يزل)**.

أي: أنه ﷻ ليس له مبدأ وليس له منتهى، فهو أول بلا بداية، كما أنه آخر بلا نهاية، كما قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأنه تعالى لم يَزَلْ ولا يزالُ يقولُ ويفعلُ)**.

هذا ردٌّ على المتكلمين؛ فهم يقولون: قال بعد أن لم يكن يقول، وفَعَل بعد أن لم يفعل. كيف هذا؟!

.....

أي: أنه كان معطَّلًا عن الفعل حتى صار يفعل! ما الذي جعله يفعل بعد أن كان لا يستطيع أن يفعل؟! وهذه المسألة يدخل فيها ما يسمى «تسلسل الحوادث»، والناس يختلفون فيها اختلافًا كثيرًا، وبعض الناس لا يفهمها، ويرمون شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بالضلال بسببها، كما يقوله الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري»، ومن أسوأ ما أضيف إليه أو وصفه به قولُه في هذه المسألة؛ لأنه لم يفهم ما قاله ـ والله المستعان ـ.

نقول: **التسلسل قسمان:**

القسم الأول: تسلسل في الفاعِلِين، وهذا باطلٌ بالإجماع؛ أي: أن كل فاعل له فاعل، وهكذا. وهذا باطل.

القسم الثاني: تسلسل الحوادث، وقد اختلفوا فيه على **ثلاثة أقوال:**

القول الأول: قولٌ يقول: إنه غير واقع في الماضي، وواقع في المستقبل؛ لأن الله أخبرنا بدوام الجنة والنار وأهلهما، وهذا تسلسلٌ إلى ما لانهاية، وهي حوادث.

القول الثاني: المنع في الماضي والمستقبل.

القول الثالث: الذي هو قول أهل السُّنَّة: أنه واقعٌ في الماضي وفي المستقبل، ولا يلزم أننا نعرف الأمور التي قبل هذا الوجود؛ لأن عقولنا قاصرة وصغيرة، لا نستطيع أن نستوعب أكبر من ذلك، وقد أخبرنا ربنا ﷻ، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧] هذا غير محدَّد، فهو فعَّال لما يريد دائمًا وأبدًا، وإذا أراد شيئًا فعله، ولم يكن ربنا ﷻ معطَّلًا عن الفعل، تعالى وتقدس، والله ﷻ لما خلق

.....

السموات أخبرنا أنه خلقها في ستة أيام، وفي ذلك الوقت لم يكن هناك ليل ولا نهار ولا شمس. والله أعلم بتقدير أجرام أخرى، أو غير ذلك.

المقصود أنَّ أفعال الله وأوصافه لا يحيط بها عقل البشر، تعالى الله وتقدس، فيجب أن يقف العبد عند حده؛ ولهذا نُهينا أن نُفكر في ربنا؛ لأننا لن نصل إلى نتيجة، فكلما فكرت ففكرك قاصر عند وصف الله ﷻ، لا يصل إلى شيء.

المقصود أنَّ مسألة تسلسل الحوادث هي التي يقال لها التسلسل، وهي تكون في أفعاله، وقد تعسَّر فهمُها على كثيرٍ من الناس؛ ولهذا نفاها بعضُهم.

والناس لهم فيها ثلاثةُ مذاهب كما وضحنا من قبل:

فمنهم من ينفي ذلك في الماضي، ويثبته في المستقبل؛ لأن الله أخبر عن الجنة والنار أنها دائمةٌ أبدًا.

ومنهم من ينفيه في الماضي والمستقبل.

ومنهم من يثبته في الماضي والمستقبل، وهذا هو الصحيح الذي لا يجوز غيره؛ فهو فعَّال لما يريد، ولا يجوز أن يقال: إنه كان لا يفعل، ثم صار يفعل بعد أن كان غيرَ فاعل؛ فهذا نقصٌ، والله ﷻ يتعالى عن النقص؛ فله الكمال المطلق، فهو سبحانه فعالٌ لما يريد، إذا أراد شيئًا فعله.

وهذا أمرٌ لا يمكن أن يكون في وقتٍ دون آخر، وهذا هو معنى تسلسل الحوادث؛ أي: أن كل فِعل فعلَه فقد سُبِقَ بفعلٍ قد فعله، وليس لهذا مبدأٌ أصلًا، كما أنه ليس له منتهى أصلًا، وهو داخل في قوله ﷻ:

وأنه فعَّالٌ لما يريد، ويتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، لم يزل بالكلام موصوفًا، وبالرحمةِ والإحسان معروفًا.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]، أما قوله ﷻ: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ فهذا للإحاطة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لم يزل ولا يزال يقول ويفعل، وأنه فعَّالٌ لما يريد)**.

نص رَحِمَهُ اللَّهُ على القول والفعل؛ لأن الأصل في الصفات القول والفعل، وكلاهما يدخل في الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئته، ويقصد بذلك الردَّ على الذين ينفون أفعاله ﷻ في الماضي، وأنه صار فاعلًا بعد أن لم يكن فاعلًا، وهذا لا يجوز أن يقال في الله ﷻ؛ فإنه نقصٌ، والمسألة لها فروع كثيرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، لم يزل بالكلام موصوفًا)**.

الكلام من المسائل الكبيرة التي خالف فيها كثير من طوائف المتكلمين؛ فكثير منهم يقول: إن كلام الله مخلوق، وقد جاء الأشاعرة بأمورٍ غير معقولة في هذه المسألة، فقالوا: إن كلام الله المعنى الواحد القائم في النفس! هذا ليس كلامًا، وإذا قيل لهم: كُتُب الله ما هي؟ هل هي المعنى كله؟! يقولون: هذه عبارة عن كلام الله! مَن الذي عبَّر؟! فالعبارة تحتاج إلى معبِّر، قد يقولون: هو الرسول المَلَكي أو البَشَري، إذًا فالله عاجز عن أن يتكلم عندهم، تعالى الله وتقدس! مَن يحاسب الناس؟ من الذي أرسل الرسل؟ من الذي خاطب آدم؟ من الذي خاطب الشيطان وغيره؟!

إن إنكار الكلام إنكار للشرع، وإنكار للرسالة، وإنكار لله ﷻ

.....

ولصفات الله ﷻ؛ فهو أصلٌ عظيم، وقد ثبت في كتاب الله ما لا يدع مجالًا للشك والتردد في إثبات الكلام، وأنه ﷻ يقول، ويكلِّم، ويخاطِب، وينادي. والنداء من أبلغ الأدلة، وقد جاء النداء في كتاب الله في أكثر من إحدى عشرة آية؛ كقوله ﷻ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]. والنداء يكون برفع الصوت، خلاف النجوى؛ فالله ﷻ ينادي ويناجي، تعالى وتقدس. وقد جاء في «الصحيحين» أنه قيل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعتَ رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعتُه يقول: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ**»[(١)]. يُعطاه بيمينه، ويخرج إلى الناس يمدُّه ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠] استولى عليه الفرح، وصار يقول مثل هذا القول!

ويقول الرسول ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ...**» الحديث[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨] (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الرقاق، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤/ ٢١٢٠) برقم (٢٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد (١/ ٩٠) برقم (٤٠٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، =

لك في الصلاة صفة عظيمة، ولك فيها مقام رفيع جدًّا لو فكرتَ فيه، من الذي يحصل له أن يناجي ربه؟! لو قيل لأحد الناس: أنت سوف تناجي الأمير الليلة، تجد الناس يغبطونه، فمن يناجي الأمير له مقام كبير، فكيف بالذي يناجي رب العالمين؟! ما بينك وبينه إلا أن تقوم في الصلاة وتناجيه، إذا قام العبد في الصلاة فإنه يناجي ربه وهو فوق عرشه، تعالى وتقدس؛ لأنه يعلم السر وأخفى، ولا يخفى عليه شيء، وكل المخلوقات في سمٰواته وأراضيه وخَلْقه، لو شاء وضعها في كفِّه، وصارت مثل الخردلة كلها! كما قال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]، لكن هؤلاء ما عرفوا قدره.

المقصود أن القول والكلام شيء واحد؛ فربنا ﷻ يقول ويتكلم كلامًا حقيقيًّا، إذا خاطب أحدًا من خلقه فهو يُسمِعه بحرف وصوت، وسوف يكلِّم كل واحد من المؤمنين يوم القيامة، كما في حديث عَدِيٍّ رضي الله عنه، الذي في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ**»[(١)].
هذا قول الرسول ﷺ، الذي يعلمنا ديننا وعقيدتنا، أما جَهْمُ بن صفوانَ

= باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها (١/ ٣٩٠) برقم (٥٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٩/ ١٤٨) برقم (٧٥١٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٢/ ٧٠٣) برقم (١٠١٦).

.....

وبِشرٌ المِرِّيسيُّ وأضرابهما وأتباع الأشعري ـ مع أن الأشعري لا يقول بهذا، ولكن يأبى أتباعه إلا أن يكونوا على الباطل ـ فهم لا يؤمنون بهذه.

إن صفة الكلام صفة حقيقة، والكلام المعقول هو الذي يكون بحروفٍ وأصوات، أما الكلام النفسي فهو أمرٌ مُخترعٌ لا دليل عليه، والأشاعرة يثبتون الكلام النفسي لله ﷻ، وينفون الكلام اللفظي!

فالكلام اللفظي عندهم ممتنع على الله ﷻ، وإذا أُثبت يلزم من ذلك التشبيه على حدِّ زعمهم، والحق خلاف هذا؛ ولهذا نصَّ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك هنا، وهو رَحِمَهُ اللَّهُ ينص على الأشياء التي يخالف فيها أهلُ البدع من أصحاب البدع الكبيرة، مثل هذه البدعة.

يقول هؤلاء: إن الكلام **قسمان**:

كلام يُسمَع ويشتمل على حروفٍ وأصوات، وهذا لا يجوز أن نَصِفَ الله ﷻ به؛ لشُبَهٍ قامت عندهم.

وكلام يسمونه الكلام النفسي، ويقولون: إنه المعنى القائم في ذات الله، الذي يُوصَف به ربنا ﷻ!

وأما القسم الأول فيقولون: إنه حادث، والله لا تَحُل فيه الحوادث، ويقولون: نحن استدللنا على وجود الله بالحوادث؛ لأن كل حادث مخلوق حَدَث بعد أن لم يكن، ومَن حلَّت فيه الحوادث فهو حادث... إلى آخر الكلام الذي يُشبِّهون به على الناس في ذلك.

وإن كانوا هم يقتنعون به؛ لأنهم لم يقصدوا مجانبة الحق، ولا يقصدون الكفر بالله، أو الردَّ على الله، أو الردَّ على رسوله ﷺ، وإنما

.....

أدَّاهم اجتهادهم إلى هذا، وتلقَّوا ذلك عن مشايخهم الذين يثقون بهم، فقلدوهم، واستبعدوا أن يكون مشايخهم الذين تلقوا عنهم دينهم خالفوا كتاب الله؛ فلهذا اجتهدوا أن يُؤَوِّلوا كلام الله ﷻ حتى يتفق مع ما تلقَّوه ممن تعلموا منه، وأخذوا عنه دينهم.

وقد وصف الله ﷻ نفسه بأنه يتكلم، وأنه قال ويقول، وأنه تكلم بالقرآن وأنزله على عبده، وكذلك كلَّم من يشاء من عباده بلا واسطة، وكلم آدم، وكلم الملائكة، وكلم موسى، ويكلم من يشاء متى ما شاء.

وكذلك يُكلم عباده يوم القيامة، كما في حديث عَدِيٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**»(١)، فهذا لكل واحد، وهذا في وقتٍ واحد.

والأدلة في هذه المسألة كثيرةٌ جدًا، وقد ذكر الله ﷻ في أحد عشر موضعًا من كتابه أنه نادى، والنداء من أبلغ الكلام؛ لأنه بالصوت الرفيع؛ فالنداء نداء البعيد، كما أن النجوى للقريب، وإن كان ﷻ قريبًا من جميع خلقه، كما سيأتي.

ثم كيف يتحدى الله ﷻ بكلامه أن تأتي الجن والإنس بمثله؛ قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

هل يمكن أن يتحدى الخلق بما في نفسه؟!

الجواب: لا يمكن.

---

(١) سبق تخريجه.

ودخل في ذلك الإيمانُ بأن القرآن كلامُ الله منـزَّل غيرُ مخلوقٍ، ...

يقول الأشاعرة: الكلام هو المعنى القائم في نفس الله، هذا كلامه الذي يوصَف به، أما كلامٌ يُتكَلَّم به ويُسْمَع، فهذا عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله!

وقبلهم الكُلَّابيَّة يقولون: حكاية عن كلام الله.

ولكن الأشاعرة زعموا أن الحكاية تشبه المحكي، أو تكون مثله؛ فاجتنبوا هذا، واختاروا كلمة: عِبارة.

وهذا كله باطل بل ضلال، ضلالٌ بيِّنٌ واضح، وكم من آية تدل على هذا! قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣]، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦].

ومعلوم أن المستجير يَسمَع كلام الله من المبلِّغ الذي بلَّغه إياه، فكلام الله ﷻ صفة كمال.

أما قولهم: إنه يتطَلَّب لَهاةً ولِسانًا وحنجرةً وأدوات أصوات، مثل الحبال الصوتية وما أشبه ذلك.. فعجيب مثل هذا الكلام، إن هذا كلام المخلوق الضعيف، أما كلام رب العالمين فهو كسائر صفاته التي تخصه ولا يشاركه فيها أحدٌ، تعالى الله وتقدس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ودخل في ذلك الإيمانُ بأن القرآن كلام الله منـزَّل غيرُ مخلوق).

خصَّ هذا لأنه خولف فيه، فقالت الجهمية والمعتزلة والأشاعرة: إن القرآن مخلوق. وقد صرح الجُوَيني إمام الأشاعرة في كتابه «الإرشاد»

.....

بأن الخلاف في هذه المسألة بينهم وبين المعتزلة خلافٌ لفظي، ليس له كبير فائدة، فهم متفقون مع المعتزلة في أن القرآن مخلوق، تعالى الله وتقدس عن قولهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ودخل في ذلك الإيمانُ بأن القرآن كلام الله)**.

حقيقةً؛ لفظه ومعناه، وليس الألفاظ دون المعاني، ليس القرآن فقط كلام الله؛ بل التوراة والإنجيل وكل كُتب الله التي أنزلها بأي لغة كانت: هي كلامه ﷻ، تكلم به وأسمعه جبريل عليه السلام، وجبريل جاء به إلى الرسول الذي أُرسِل إليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مُنزَّل)**.

مُنزَّل من الله بصحبة جبريل عليه السلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(غير مخلوق)**.

لا كما يقول بذلك أئمة الضلال الذين أضلوا الناس، ومنهم من يصرح بأنه مخلوق، مثل الجهمية والمعتزلة، أما الأشاعرة فهم يقولون بالمعنى، مثلما سبق من قول إمامهم الجُوَيني في كتابه «الإرشاد»: الخلاف بيننا وبين المعتزلة في هذه المسألة خلاف لفظي. والآن توجد كُتب يكتبها علماؤهم، يقولون: ينقسم الكلام إلى قسمين، كما تقدم:

القسم الأول: كلام بالحروف والأصوات، وهذا ممتنع أن يكون صفة لله.

القسم الثاني: هو المعنى الذي يقوم في نفس المتكلم، وهذا هو الذي يثبتونه، والمعنى كله مثل قول الجَهْم بن صفوان، وكل ذلك ضلال ـ نسأل الله العافية ـ.

منه بدأ، وإليه يعودُ،.....

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(منه بدأ)**.

قوله: (بدأ) له معنيان:

المعنى الأول: أنه صفةٌ من صفاته تكَلَّم به سبحانه.

المعنى الثاني: أنه تكَلَّم به أوَّلًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإليه يعود)**.

إما «يعود» صفة أيضًا، وهو صفته تعود إليه، وإما أنه كما جاء في «الأثر»: «**يُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ فَيُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُصْبِحُ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَلَا الزَّبُورِ، وَيُنتَزَعُ مِن قُلُوبِ الرِّجَالِ، فَيُصْبِحُونَ وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ**»[1]. إذا ترك الناس العمل به رُفِع، والآن بدايات هذا الأمر موجودة في الإعراض عنه؛ تجد أكثر الناس لا يعمل به؛ لا في حُكم، ولا في نفسه، ولا في غيره، ومع ذلك لا يزال الناس فيهم خير كثير، ولا يزال في هذه الأمة طائفة منصورة إلى قيام الساعة؛ أي: ساعتهم التي تأتيهم. ورَفْع القرآن من أشراط الساعة الكبرى.

فقوله: (منه بدأ وإليه يعود) له معنيان:

المعنى الأول: أنه صفةٌ له تكلم به، ويعود إليه صفة أيضًا.

المعنى الثاني: أنه تكَلَّم به أولًا، ثم أخيرًا يُرفَع إليه من المصاحف ومن صدور الناس، كما جاء النص في ذلك عن النبي ﷺ، وذلك في آخر الزمان إذا ترك الناس العمل بالقرآن رُفع.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٢) برقم (٨٥٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي.

وأنه المتكلِّم به حقًّا، .....

وقد أعاد رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألة للأهمية والخلاف فيها مع الجَهْميَّة والمعتزلة والأشعَرِيَّة، كلهم يخالفون في ذلك، والقول كله يَؤُول إلى أن القرآن مخلوق، ومن قال بأن القرآن مخلوق فقد قال بأن صفات الله مخلوقة، فالخالق يكون منه جزء مخلوقًا! تعالى الله وتقدس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنه المتكلم به حقًّا).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(حقًّا)**؛ لئلَّا يقول قائل: إنه كلام البشر أو غيره، كما يقول بعضهم: إنه كلام الرسول، ويستدل بقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠، التكوير: ١٩]، جاءت في آيتين؛ أي: ليس بقول شيطان، ولا بقول كاهن، ولا بقول شاعر؛ فالرسول الكريم جاء من الله ﷻ؛ ولهذا فاوت بين الرسولين؛ مرةً جعله قولًا للرسول البشري، ومرةً للرسول المَلَكي. وهذا يدل على أنه قولٌ مُبَلَّغ، والكلام لمن قاله ابتداءً، لا من قاله مُبَلِّغًا مؤَدِّيًا؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. من أين يسمع كلام الله؟

الجواب: يسمع من المبلِّغ، سواءٌ كان الرسول أو غير الرسول؛ أي: مِن الذي يتلو عليه، فهذا المشرك لا يسمع كلام الله مِن الله، ولكنه كلام الله، وإن بلغه المُبَلِّغ فإنه ليس كلامَه؛ بل هو كلام الله. وهذا معنى كون الكلام يضاف إلى مَن قاله ابتداءً لا إلى من قاله مبلِّغًا، وقد يضاف إلى المبلِّغ، مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣]، ثم كيف يتعلق المبطِل بكلمة، ويترك الكلام الواضح

.....

الـجـلـي؟! قـال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] هذه صفتهم؛ يتركون الأمور المُحْكَمة الجلية الواضحة!

وقال اللهُ ﷻ في آيةٍ أخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠]، وهذه صفة جبريل عليه السلام.

والآية الأولى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠] لمحمد ﷺ، ويمتنع أنه يضاف مرةً إلى هذا، ومرةً إلى هذا، لولا أنه من باب التبليغ فقط.

يبقى في هذه المسألة التلاوة والمَتْلُو؛ فقد أَشكَلَت على كثيرٍ من الناس، إذا تلا القرآن ماذا يقال له؟ أي: المَتْلُوُّ والتلاوة، فقد ثبت عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جَهْميٌّ، ومَن قال: غير مخلوق، فهو مبتدِع»[1]. وهذا قد يُشكِل على بعض الناس، ماذا نقول؟! حتى قال ابن قتيبة رحمه الله في كتابه «اللفظ»: «ما أظن هذا يثبت عن الإمام أحمد»[2]. وقال البخاري رحمه الله في كتابه «خَلْق أفعال العباد» لما ذكر هذه المسألة: «يحتجون بقول الإمام أحمد، وهم لم يفهموا قول الإمام أحمد؛ لأن كلمة لفظ قد يراد بها المصدر، وقد يراد بها الفعل»[3]؛ أي: أنه قد يراد بها حركة اللسان والصوت وحركة الشفتين، فهذا كلام الله.

(١) مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني (ص٣٥٦).
(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة (ص٦٠).
(٣) انظر: خلق أفعال العباد (ص١٠٧).

وأن كلامه لا ينفَد ولا يَبيدُ.

ودخل في ذلك الإيمان بأنه قريبٌ مجيب، .....

ولما كان الأمر فيه اشتباه منع الإمام أحمد الإطلاق في هذا؛ فيجب أن يعرف الإنسان ويفصل ما هو صفة الله، وما هو صفة المخلوق القارئ؛ فالصوت المسموع مخلوق، وهو صوت القارئ، ولكن المُصوَّت به هو كلام الله، وكلام الله في هذا له أربع مراتب:

مرتبة القول.

مرتبة الكتابة.

مرتبة الحفظ.

مرتبة السماع.

وكلام الله ﷻ لا يختلف في هذه المراتب كلها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأن كلامه لا يَنفَد، ولا يَبِيد)**.

قال ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، كما أخبر ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧]، فتفنى الأقلامُ وينفد المِدادُ، وكلامُ الله باقٍ؛ لأنه ليس مخلوقًا، وإنما هو صفته، وهذا مجرد تقريب للأفهام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ودخل في ذلك الإيمانُ بأنه قريبٌ مجيب)**.

أي: دخل في تعريف الإيمان السابق. وقد جاء قربُ الله ﷻ على نوعين فقط ـ وليس قربًا عامًّا ـ:

وأنه مع ذلك عَلِيٌّ أعلى، وأنه لا منافاة بين كمالِ علوه وكمال قربِه؛

النوع الأول: قريب من داعيه؛ قال الله ﷻ في قرب الداعي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

النوع الثاني: قريب من عابده، كما قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩].

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِن رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**»[(١)]؛ لأنَّ الإنسان إذا ذلَّ لله وخضع له، فالله قريب منه، والإجابة من لوازم هذا.

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا**»[(٢)].

وقوله: (مجيب).

أي: أنه يجيب دعوة الداعي.

قوله رحمه الله: (وأنه مع ذلك عَلِيٌّ أعلى، وأنه لا منافاة بين كمال علوه وكمال قربه).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (١/ ٣٥٠) برقم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة (٨/ ٨٢) برقم (٦٣٨٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤/ ٢٠٧٦) برقم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

لأنه ليس كمثلِه شيءٌ في جميع نعوته وصفاته.

إن قربه ﷻ لا ينافي علوه؛ لأنه ليس كمثله شيء، تعالى وتقدس، فهو عالٍ، وعلوه صفةُ ذاتٍ ملازمة له، وهو محيط بكل شيء، وهو أكبر من كل شيء، والخلق كله عنده صغير.

وقد أخبرنا ﷻ أنه يوم القيامة يقبض السموات بيمينه، فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، كلها على سَعتها في قبضته، وتكون صغيرةً بالنسبة إليه، ليست شيئًا، وكذلك الأَرَضين.

وقوله (عليٌّ)؛ أي: أن له صفة العلو، والعلو له ثلاثة معانٍ:

علو القهر، وعلو القَدْر، وعلو الذات.

وكلها ثابتة لله ﷻ، ولكن علو القَدْر ليس موجودًا عند كثير من الناس؛ لا يَقدُرون الله حقَّ قَدِره، فمن يعبد معه غيره وينادي صاحب القبر، فلا قَدْرَ لله عنده، وكذلك الجهميُّ، وكذلك الذين ينفون صفاته.

أما علو القهر فهو أمرٌ ظاهر، وهو القهار الذي قهر خلقه.

أما علو الذات فينكره بعض الناس، والمصيبة أن من ينكرون ذلك هم من العلماء، أما عوام المسلمين فلا ينكرون ذلك، فهم يقرون بذلك؛ لأنهم مفطورون على هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لأنه ليس كمثلِه شيءٌ في جميع نعوته وصفاته)**.

هذه هي القاعدة: النعوت هي الصفات.

ولا يتم توحيدُ الأسماء والصفات حتى يؤمن بكل ما جاء به الكتابُ والسُّنَّة من الأسماءِ والصفات والأفعالِ وأحكامها، على وجهٍ يليقُ بعظمةِ الباري، ويعلم أنه كما أنه لا يُماثلُه أحدٌ في ذاته، فلا يماثلُه أحدٌ في صفاته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يتم توحيد الأسماء والصفات حتى يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسُّنَّة).

كرر هذا لأهميته، ولأن الخلاف فيه ظاهرٌ وكثير. ليس هناك فرقٌ بين توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، وتوحيد العبادة؛ فالله واحد في هذه كلها، وصفاته واحدة له فقط لا يشاركه أحد فيها، تعالى وتقدس، وكذلك لا يشاركه أحد في أفعاله. ولا يتمُّ الإيمان بهذا على الوجه المطلوب حتى يؤمن الإنسان بها وبمعانيها وأحكامها، كما قال الله ﷻ، وقال رسوله ﷺ؛ لأن الكلام قُصد به الحُكم، واللفظ لا يؤخذ مجردًا دون معناه وحُكمه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (من الأسماء والصفات والأفعال وأحكامها، على وجهٍ يليق بعظمة الباري).

يردد رَحِمَهُ اللَّهُ كل هذا؛ لأن هذا هو التوحيد، فينبغي أن يكون على ما يليق بعظمته، وأن يكون خاصًا به ﷻ لا يشابهه أحد في الصفات والأفعال.

وقد خالف كثير من الناس في الصفات والأفعال، والعلماء يسمون المعتزلة نُفاة الصفات مُمَثِّلة الأفعال؛ لأنهم يمثِّلون أفعاله بأفعال الخلق، تعالى الله وتقدس، ويعطِّلون صفاته.

ومَن ظنَّ أن في بعض العقليات ما يوجبُ تأويل بعض الصفاتِ على غير معناها المعروف، فقد ضلَّ ضلالًا مبينًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومن ظن أن في بعض العقليات ما يوجبُ تأويل بعض الصفاتِ على غير معناها المعروف، فقد ضلَّ ضلالًا مبينًا)**.

يقصد بذلك الأشاعرة أصحاب التأويل، الذين يقولون: إن التأويل توجِبه العقول. والتأويل له **ثلاثة معانٍ**:

المعنى الأول: تأويل بمعنى التفسير.

المعنى الثاني: تأويل بمعنى ما يَؤُول إليه الأمر، وحقيقة الشيء.

وهذان التأويلان معروفان، وهما صحيحان؛ لورود الأدلة عليهما.

المعنى الثالث: صرف اللفظ من الاحتمال الظاهر الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليل، والدليل عندهم هو العقل. وهذا مبتدع.

وهذا هو ما أراده المؤلف هنا؛ لأن الأشاعرة يوجبون التأويل، ويقولون: هذه النصوص في الصفات نصوص مشتبهة. والواجب على الإنسان عندهم إما أن يفَوِّضها، وإما أن يؤَوِّلها. معنى ذلك أن الباطل عندهم واجب؛ بل الكفر يكون واجبًا! ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فقد ضلَّ ضلالًا مبينًا)**.

المقصود أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يَرُدُّ بهذا على المعتزلة والأشاعرة، الذين يزعمون أنه يجب الحكم على كتاب الله ﷻ بالبراهين والأدلة العقلية، وهذا عكس الحق تمامًا؛ فالحق أن كتاب الله يجب أن يكون هو الحاكم.

ولا يتم توحيدُ الربوبية حتى يعتقد العبدُ أنَّ أفعال العباد مخلوقةٌ لله، وأن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله.

وأنَّ لهم أفعالًا وإرادةً تقع بها أفعالهم، وهي مُتَعَلَّقُ الأمر والنهي.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولا يتم توحيدُ الربوبية حتى يعتقد العبدُ أنَّ أفعال العباد مخلوقةٌ لله، وأن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله)**.

هذه مسألة أخرى رد على القَدَريَّة، والقدرية فرقتان كما هو معروف:

الفرقة الأولى: أنكروا القَدَر، وقالوا: إن العبد هو الذي يستقلُّ بأفعاله؛ إن شاء آمن، وإن شاء كفر. ويستدلون بنصوص، ولكن النصوص ليست مهمةً عندهم؛ لأن الأصل في الاستدلال عندهم العقل.

الفرقة الثانية: قابلوهم تمامًا، وقالوا: لا اختيار للإنسان ولا قُدرة، وإنما هو مُجبَرٌ على أفعاله. وكلا الفريقين ضال، والحق بينهما؛ ولهذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولا يتم توحيدُ الربوبية حتى يعتقدُ العبد أنَّ أفعال العباد مخلوقةٌ لله)**.

فالخلق كله لله ﷻ، وقد أشرنا إلى هذا من قبل، وقدمنا الرد عليهم في عقلياتهم، فهم يقولون: لو قلنا: إن أفعال العباد مخلوقة، للزم من ذلك الظلم، وأن يكون الله ظالمًا، تعالى الله وتقدس، وهذا كفر، ونحن نفِرُّ من الكفر.

نقول: لا بد أنهم يقولون: إن الإنسان مخلوق لله، وهذا أمرٌ ظاهر، فإذا أقروا بذلك نقول لهم: ما المخلوق من الإنسان؟ هل جسمه فقط؟ أم جسمه وصفاته؟

وأنه لا يتنافى الأمران: إثباتُ مشيئةِ الله العامةِ الشاملةِ للذوات والأفعال والصفات، وإثباتُ قدرةِ العبدِ على أفعاله وأقواله.

الجواب: الصفات تبع للجسم، ولا يمكن أن يكون الجسم مخلوقًا لله وتكون الصفات مخلوقة للإنسان نفسه، ومن صفاته القدرة والاختيار، فالقدرة والاختيار هما اللذان يقع بهما الفعل، فإذا كانتا مخلوقتين لله، فأفعاله مخلوقة، ومعلوم أن الأمر والنهي منوطان بالقدرة، والله أمَرَه بشيءٍ محددٍ ونهاه عن شيءٍ محدد، جاء به الرسول ﷺ، وأنت تملك الاختيار، والأمر إليك؛ إن شئتَ امتثلتَ وسوف تُجزى خير الجزاء، وإن شئتَ كفَرْتَ وامتنعت، ومصيرك إلى الله ﷻ وسوف يعاقبك. فوَعَد العبد على فعل الخير، وتوعَّده على فعل الشر، وجعل الأمر إليه، وكل شيء يقع بمشيئة الله، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] فجعل لهم مشيئة، ولكنها بعد مشيئة الله ﷻ.

أمَّا الفرقة الثانية «الجَبْريَّة»: فباطلهم أظهر وأشهر وأكبر، ولكن لا يستقيم على مذهبهم لا دين ولا دنيا؛ ولذا يقول العلماء: ينبغي أن يعامَلوا بمذهبهم، بمعنى أنك لو صككته في وجهه، وقلت له: لا تَلُمْني؛ ليس لي تصرف، لم أفعل شيئًا. هل يرضى؟! كلا؛ بل سيزداد غضبًا.

فالإنسان لا بد أن يحاسَب على عمله، وإلا عمَّت الفوضى! كلٌّ يحرق المال ويقتل الناس ويقول: ليس هذا فعلي، أنا مجبر، ليس لي تصَرُّف!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنه لا يتنافى الأمران: إثباتُ مشيئةِ الله العامةِ الشاملةِ للذوات والأفعال والصفات، وإثباتُ قدرةِ العبدِ على أفعاله وأقواله).

لا يوجد خلاف بينهما؛ فقدرة الله التي بها يخلق الخلق، ومشيئته العامة الشاملة؛ ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون، وكذلك علمه الأزلي

.....

السابق، فقد علم كل شيء، وكتابته لعلمه هي حقيقة القَدَر، فقد علم ﷻ أن هذا المخلوق سيوجد في وقت كذا، وسيعمل كذا وكذا باختياره وقدرته، فكتب هذا، فيقع على وَفْق علمه وكتابته؛ هذا هو معنى القَدَر.

وهذا جوابٌ لشُبَهِهم، فهم يقولون: كيف يعلم الله أن هذا المخلوق سيكفر، ويكتب ذلك، ثم يأمره بالإيمان؟! نقول: أمره بالشيء الذي يستطيعه، ولم يأمره بالشيء الذي لا يستطيعه؛ بدليل أنَّ غيره يؤمن ويصلي ويقوم، وهو مثله، وله قدرة مثل قدرته، واختيار مثل اختياره، لكن وراء ذلك شيء بيد الله، وهو الهداية. والهداية **قسمان**:

القسم الأول: هداية بمعنى الدَّلالة والإرشاد، وهذه للرسول ﷺ ومَن بعده.

القسم الثاني: هداية بمعنى خَلْق الهدى في القلوب، وهذه لله ﷻ.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وهذه الآية لا تخالف قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، فالأولى هداية الخلق، والثانية هداية الدَّلالة والإرشاد. أما هؤلاء الضُلال فيقولون: يجب على الله أن يسوِّيَ بين الناس. نقول: مَن الذي يُوجب على الله؟! الله ﷻ حكيمٌ عليم، يضع فضله حيث يكون مناسبًا، فبعض المواضع لا تصلح أن يكون فيها فضل؛ يقول الله ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات: ٧ ـ ٨]؛ فتحبيب الإيمان وتزيينه في القلب، وتكريه

.....

الكفر والفسوق والعصيان: هو فضل الله، فإذا وهبه للإنسان فعليه أن يَحمَدَ ربه ويشكره على ذلك، وإذا منع الله هذا الفضل، فهل يكون ذلك ظلمًا؟

الجواب: لا، ليس ظلمًا.

وقد دارت من قَبلُ مناظرات بين هؤلاء وأهل السُّنَّة، ومنها المناظرة التي وقعت بين عبد الجبار المعتزلي، وهو واحدٌ من كبار المعتزلة، وبين أبي إسحاق الإسفراييني وهو واحد من أهل السُّنَّة. فيروى أن عبد الجبار كان صديقًا للصاحب بن عَبَّاد، الذي كان وزيرًا خيِّرًا، وكان يجمع العلماء والأدباء في بيته ويتناظرون، وذات يوم كان عبد الجبار جالسًا في مجلس الصاحب، وحَوْلهم العلماء والأدباء، فدخل أبو إسحاق الإسفراييني، فقال عبد الجبار: سوف أُخزي هذا الرجل؛ لأنه يقول: إن الله ﷻ عَلِم الأشياء وكتبها، ومشيئته كاملة، وخَلْقه عام. فلما دخل وصار يسمع كلامه، قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء!

فعرف أبو إسحاق مقصده فأجاب على الفور قائلًا: سبحان من لا يكون في ملكه إلا ما يشاء. لأن عبد الجبار يقول: أنتم أهل السُّنَّة تقولون: إن الله قدَّر على الكافر المعصية وأراد منه الإيمان! وهذا ظلم، وهذه فحشاء يجب أن يُنزِّه الله عنها.

فأجابه أبو إسحاق قائلًا: سبحان من لا يكون في ملكه إلا ما يشاء؛ أي: أنت ـ أيها المعتزلي ـ تقول: إن الله أراد من هذا الكافر أن يؤمن، ولكن الكافر لم يُرِد ذلك، فوقعت إرادة الكافر ولم تقع إرادة الله! ومعنى ذلك أنكم تقولون: إنه يكون في ملك الله ما لا يشاء!

ولا يتم توحيد العبد حتى يخلِص العبدُ لله تعالى في إرادته وأقواله وأفعاله، .....

فقال عبد الجبار المعتزلي: أيُريد ربُنا أن يُعصى؟

فقال أبو إسحاق: أيُعصى ربنا قَسْرًا. أي: أيعصى ربنا وهو لا يريد!

فقال عبد الجبار المعتزلي: أرأيتَ إن حكم عليَّ بالرَّدَى؛ أأحسن إليَّ أم أساء؟

فقال أبو إسحاق: إن كان منعك حقَّك فقد أساء، وإن كان منعك فضله فهو يؤتي فضله من يشاء!

فكأنما أُلقِم حجرًا، فقال الحاضرون: والله ليس عن هذا جواب[1]. فيكون الخزي عليهم والعار عليهم.

فهؤلاء يرجعون إلى أفكارهم وعقولهم ويَدَعون النصوص التي قالها أصدق القائلين ﷻ، وقالها رسوله ﷺ.

فالمقصود أن الله ﷻ خلق العبد وجعل له قدرةً وإرادة، وأمره بما يستطيعه؛ فلا منافاة بين هذا وهذا، فإذا أقدم على فعل الأمر فلا يكون ذلك خارجًا عن مشيئته وإرادته، وإن أبى فقد امتنع عن الشيء الذي يستطيع فعله، فهو يستحق العذاب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يتم توحيد العبد حتى يُخلِص العبد لله تعالى في إرادته، وأقواله، وأفعاله).

لا بد أن يكون الإنسان مخلصًا في نياته، وإرادته، وأفعاله الظاهرة التي يمتثل بها أمر الله ويجتنب نهيه، وهذا يكون في الجوارح من قول

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٤/ ٢٦١)، ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني (١/ ٣٣٩).

وحتى يَدَعَ الشرك الأكبرَ المنافيَ للتوحيد كلَّ المنافاة، وهو أن يصرف نوعًا من أنواع العبادةِ لغير الله تعالى.

اللسان، ومن القيام، والسجود، والركوع، والمشي، وإخراج الواجب عليه من المال، ويكون كذلك بالقلب، والقلب هو الأصل في هذا؛ فالإرادات والنيات والمقاصد يجب أن تكون خالصة لله ﷻ، لا يريد بها أغراض النفس ولا أمور الدنيا، فإن اشترك شيء من هذه الأمور مثل حظوظ النفس؛ كأن يُثنى عليه ويُمدَح ويقال: هذا فلان فيه كذا وكذا، أو أن يُشار إليه بالأصابع، أو أنه أراد أمرًا من أمور الدنيا؛ فهو خاسر، كما قال الله ﷻ في مثل هؤلاء: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥]، وهذا ليس على إطلاقه؛ لأنه جاء مقيَّدًا في آيةٍ أخرى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٦]. هذا هو شرك المقاصد والنيات، وهو الشرك الأكبر الذي ينافي التوحيد بالكلية.

أما شرك الأقوال والأفعال؛ مثل يسير الرياء، والحَلِف بغير الله، وإسناد الأمور إلى أسبابها؛ كقولهم: لولا فلان ما كان كذا. وغير ذلك من الأقوال التي يقولها الناس؛ فهو لا ينافي التوحيد، وإنما ينافي كمال التوحيد، فيكون الإنسان مسلمًا، ولكن توحيده يكون ناقصًا.

فلا بد أن يأتي العبد بالإخلاص الكامل؛ حتى يكون موحدًا صادقًا مع ربه ﷻ بالعبادة التي أمر الله ﷻ بها، ولا تتم سعادة الإنسان إلا بذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وحتى يَدَعَ الشرك الأكبرَ المنافيَ للتوحيد كلَّ المنافاة، وهو أن يصرف نوعًا من أنواع العبادةِ لغير الله تعالى)**.

هذا هو تعريف الشرك الأكبر.

وكمالُ ذلك أن يدعَ الشرك الأصغرَ، وهو كلُّ وسيلةٍ قريبةٍ يُتَوَصَّلُ بها إلى الشركِ الأكبر؛ كالحَلِفِ بغيرِ الله، ويسيرِ الرياء، ونحو ذلك.

والناسُ في التوحيدِ على درجاتٍ متفاوتةٍ بحسَب ما قاموا به من معرفةِ الله والقيام بعبوديته؛ فأكملهم في هذا الباب مَن عرفَ من تفاصيلِ أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، وآلائه، ومعانيها الثابتة في الكتاب

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكمالُ ذلك أن يدعَ الشرك الأصغرَ، وهو كلُّ وسيلةٍ قريبةٍ يُتَوَصَّلُ بها إلى الشركِ الأكبر؛ كالحَلِفِ بغيرِ الله، ويسيرِ الرياء، ونحو ذلك)**.

هذا تعريف تقريبي، وليس تعريفًا جامعًا مانعًا.

وهناك أفعال من وسائل الشرك الأكبر، ولكنها ليست شركًا في حدِّ ذاتها؛ مثل أن يصلي الإنسان عند القبر مخلصًا لله؛ فهذا ليس شركًا، ولكنه وسيلة إلى الشرك الأكبر، فهو من البِدَع.

ولذلك فإن هذا التعريف هو تعريفٌ تقريبي، وليس جامعًا مانعًا؛ ولهذا يَعدِل بعض العلماء عن تعريف الشرك الأصغر إلى الأمثلة، فيقول: كالحَلِف بغير الله، وقول: لولا الله وفلان، وقليل الرياء، أما كثيره فمن الشرك الأكبر ـ نسأل الله العافية ـ.

والشرك الأصغر لا يُخرِج الإنسان من الدين، ولا يجعله خالدًا في النار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والناسُ في التوحيدِ على درجاتٍ متفاوتةٍ بحسَب ما قاموا به من معرفةِ الله والقيام بعبوديته؛ فأكملهم في هذا الباب مَن عرفَ من تفاصيلِ أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، وآلائه، ومعانيها الثابتة في الكتاب**

والسُّنَّة، وفَهِمها فهمًا صحيحًا؛ فامتلأ قلبه من معرفة الله وتعظيمه، وإجلاله ومحبته والإنابة إليه، وانجذاب جميع دواعي قلبه إلى الله تعالى، متوجهًا إليه وحده لا شريك له.

ووقَعَت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان والإخلاص التام الذي لا يَشُوبُه شيءٌ مِن الأغراض الفاسدة؛ فاطمأنَّ إلى الله تعالى معرفةً وإنابةً، وفعلًا وتركًا، وتكميلًا لنفسه، وتكميلًا لغيره بالدعوة إلى هذا الأصل العظيم، فنسأل الله من فضله وكرمه أن يتفضَّلَ علينا بذلك.

والسُّنَّة، وفَهِمها فهمًا صحيحًا؛ فامتلأ قلبه من معرفة الله، وتعظيمه وإجلاله، ومحبته والإنابة إليه، وانجذاب جميع دواعي قلبه إلى الله تعالى، متوجهًا إليه وحده لا شريك له).

هذا من تمام الكلام في التوحيد، والناس متفاوتون في هذا، ويرجع هذا التفاوت إلى العلم؛ فمن عَلِم العلم الصحيح، وتلقَّاه عن الله ﷻ، وعن الرسول ﷺ، وعمل به العملَ الذي يكون مطابقًا للعلم، وخضع قلبه، وذل واستكان لربه، وامتلأ بمعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه؛ كَمَل توحيدُه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ووقَعَت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان، والإخلاص التام الذي لا يَشوُبهُ شيءٌ من الأغراض الفاسدة؛ فاطمأنَّ إلى الله تعالى معرفةً وإنابةً، وفِعلًا وتركًا، وتكميلًا لنفسه، وتكميلًا لغيره بالدعوة إلى هذا الأصل العظيم، فنسأل الله من فضله وكرمه أن يتفضَّلَ علينا بذلك).

إذا تحلى الإنسان بالإيمان، وعرف عظمة الله وقَدْره؛ انجذب إلى الله ﷻ بجميع دواعي القلب، وصار خائفًا من الله راجيًا له، وصار يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يصل إلى هذا، يعبده على أن الله تعالى يُشاهده، وينظر إليه، فيكون بذلك بلغ درجة الإحسان، فالله يحب المحسنين، وبذلك يكمل توحيده.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصلُ الثاني

الإيمانُ بنبوةِ جميعِ الأنبياء عمومًا، ونبوة محمدٍ ﷺ خصوصًا

.....

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأصل الثاني: الإيمانُ بنبوةِ جميعِ الأنبياء عمومًا، ونبوة محمد ﷺ خصوصًا).

قوله (عمومًا)؛ لأن كثيرًا من الأنبياء لم تُذكر أسماؤهم، ولا أوصافهم، ولا أعمالهم التي قاموا بها، ولكن يجب أن نؤمن بأنهم جاؤوا بالحق من عند الله ﷻ، وأن من استجاب لهم هُدي ورَشَد، ومن لم يستجب فهو ضال؛ من حطب جهنم. وهذا أمرٌ عام، وهم كلهم جاؤوا بتوحيد الله والدعوة إليه؛ فمن استجاب لهم صار من أهل الحق ومن أهل السعادة، ومن رد دعوتهم فهو من جند الشيطان وحزبه، وهو خالد مخلَّد في جهنم ـ نسأل الله العافية ـ.

أما الذين ذُكروا بأسمائهم وآياتهم؛ مثل: نوح، وصالح، وشعيب، وهود، وموسى، وعيسى عليهم السلام، فيجب أن نؤمن بهم؛ بأعيانهم.

ويجب على العبد أن يعرف من ذُكِروا بأسمائهم في القرآن، وهم الخمسة والعشرون رسولًا، أما الذين لم يذكرهم الله ﷻ فنؤمن بهم إجمالًا.

ورسل الله كثيرون لم يُحصَوا لنا، أما حديث أبي ذر رضي الله عنه الذي قال فيه: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمِ النَّبِيُّونَ؟ قَالَ: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ**

.....

أَلْفَ نَبِيٍّ» قُلْتُ: كَمِ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ»، فهو حديث ضعيف، وقد صححه ابن حبان[1].

وقد أخبَرَنا الله ﷻ أنه قص علينا بعضهم، ولم يَقصُص بعضًا، وأخبر عن أممٍ بيْن ذلك؛ يقول ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩]، فالأنبياء كثيرون.

والنبي إذا أُطلِق دخل فيه الرسول، كما أنَّ الرسول إذا أُطلِق دخل فيه النبي، ولكن إذا اجتمع الأنبياء والرسل فَرَّقوا بينهما، كما فَرَّقوا بين الإيمان والإسلام.

فالأنبياء هم الذين جاءتهم الأخبار بأمورٍ خاصة، وهم في أمة مسلمة، فيوحى إليهم بأمورٍ خاصة مما تخصهم أو لا تخصهم.

وأما الرسل فيُرسَلون إلى أممٍ كافرة، فيأتون بشريعة مستقلة، وقد يكونون مكمِّلين للشريعة السابقة؛ كعيسى عليه السلام؛ فهو مكمِّل لشريعة موسى عليه السلام.

والرسل الذين أرسلهم الله ﷻ بعد إبراهيم عليه السلام كلهم من ذريته، وخُتِموا بمحمد ﷺ.

فيجب الإيمان بهم على هذا الوجه، كما قال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

---

(١) صحيح ابن حبان (٢/ ٧٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٥٢) برقم (٤١٦٦)، وضعَّفه الذهبي بقوله: فيه يحيى بن سعيد السعدي: ليس بثقة.

. . . . . .

يذكر رَحِمَهُ اللَّهُ الأصل الثاني، وهو الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عمومًا، ثم الإيمان برسولنا محمد ﷺ خصوصًا.

ينبِّه رَحِمَهُ اللَّهُ **بقوله: (خصوصًا)** على وجوب أن يعرف العبد الأمور التي كُلِّفَ بها على وجه التفصيل؛ حتى يأتي بالإيمان المطلوب منه، فيجب عليه أن يعرف الأمور التي يترتب عليها دخول الجنة، وكان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كثيرًا ما يسألون النبي ﷺ عن هذا.

يُروى أنَّ أعرابيًّا أمسك خِطام ناقة النبي ﷺ في حجة الوداع، وقال له: ثِنتَانِ أَسْأَلُكَ عَنْهُمَا: مَا يُنَجِّينِي مِنَ النَّارِ؟ وَمَا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟ فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ نَكَسَ رَأْسَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، قَالَ: **«لَئِن كُنتَ أَوْجَزْتَ فِي الْمَسْأَلَةِ لَقَدْ أَعْظَمْتَ وَأَطَلْتَ؛ فَاعْقِلْ عَنِّي إِذًا: اعْبُدِ اللهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَأَدِّ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَصُمْ رَمَضَانَ، وَمَا تُحِبُّ أَن يَفْعَلَهُ بِكَ النَّاسُ فَافْعَلْهُ بِهِمْ، وَمَا تَكْرَهُ أَن يَأْتِيَ إِلَيْكَ النَّاسُ فَذَرِ النَّاسَ مِنْهُ»**. ثُمَّ قَالَ: **«خَلِّ سَبِيلَ الرَّاحِلَةِ»**[1].

وعن مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: **«لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَن يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ»**[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٥/ ١٣١) برقم (٢٧١٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٥/ ١١) =

. . . . . .

فلا بد أن يعرف الإنسان هذه الأمور ويعمل بها، ولكن الواقع الآن غير ذلك؛ فتجد إنسانًا يذهب مع الناس، ويصنع كما يصنعون، ثم إذا أَشكَل عليه شيء لا يدري ماذا يفعل! فتجده مثلًا يتوضأ كما يتوضأ الناس، ويصلي كما يصلون، فإذا سألته عن الدليل أو المصدر، لم يعرف!

فلا بد من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ؛ لأننا سوف نُسأل عنه في القبر.

ومعرفته ﷺ تكون بالنظر في سيرته وفي حياته، وليس المقصود بذلك أن تقول: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب... إلى آخره. هذا لا يكفي؛ لا بد أن تعرف حالته، وأن تعرف الآيات التي جاء بها، وأن تتيقن أنه رسول جاء من عند الله ﷻ، ولا بد أن تشهد أنْ لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله. لا يكفي أن تقول: (إنه رسول الله)؛ بل لا بد أن تقول: (أن محمدًا رسول الله) باسمه العَلَم، كما أُمرنا أن نقول في التشهد: (أشهد أنْ لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله)؛ أي: أنه ليس له مع الله تصرف، ولا خَلْق، ولا عبادة، وإنما هو عبد تَعَبَّدَه اللهُ بعبوديته؛ كغيره من العباد، إلا أن عبادته كانت أكمل وأتم من غيره، وأكرمه الله ﷻ بالرسالة. هذا هو معنى الخصوصية.

= برقم (٢٦١٦)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٢/ ١٣١٤) برقم (٣٩٧٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وهذا الأصلُ مبناه على أن يعتقِدَ ويؤمنَ بأن جميعَ الأنبياء قد اختصَّهم الله بوحيِه وإرسالِه، وجعلَهم وسائطَ بينه وبين خلقِه في تبليغِ شرعه ودينه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهذا الأصل مبناه على أن يعتقد ويؤمن...)**.

هذا تأكيد على أنه يؤمن بقلبه وجوارحه، وأن الإيمان بالقلب وحده لا يكفي؛ بل لا بد أن تتبعه الجوارح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(يعتقد ويؤمن بأن جميع الأنبياء قد اختصَّهم الله بوحيه)**.

الوحي الخاص الذي فيه التكليف للعبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإرساله)**.

أي: رسالته التي أرسلهم بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وجعلهم وسائط بينه وبين خلقِهِ في تبليغِ شرعه ودينه)**.

في تبليغ الشرع فقط؛ لأن الوسائط في العبادة والدعاء والتقرب: شِرك أكبر.

والوساطة بين الله وبين الخلق **نوعان**:

النوع الأول: وساطة باطلة، وهي وساطة التقرب والدعاء والتوسل، كما يفعل هؤلاء الضُلال، وهذا هو الشرك الأكبر الذي كان عليه المشركون.

النوع الثاني: وساطة حق، وهي الوساطة لتبليغ الرسالة وتبليغ الأمر والنهي. ولا بد من هذه الوساطة؛ لأن الله لا يخاطب الخلق كلهم، وإنما يخاطب رجلًا منهم ويُرسِله إليهم؛ ابتلاءً وامتحانًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وتبليغ شرعه ودينه)**.

وأن الله أيدهم بالبراهينِ الدالةِ على صدقِهم وصحةِ ما جاؤوا به، .....

يجب أن نعلم أنه بلَّغ البلاغ المبين. وأنه لم يترك شيئًا نحتاج إليه إلا بيَّنه لنا ووضحه. وهذا أصل عظيم يجب الاعتناء به؛ لأنه يُبطل مذهب المتكلمين والمُتَأَوِّلين الذين يزعمون أن السلف من الصحابة ومن تبعهم أسلمُ عقيدةً وطريقةً، أما المتأخرون فهم أعلم وأحكم، وهذا كلام متناقض، ظاهره الكفر ـ نسأل الله العافية ـ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأن الله أيدهم بالبراهينِ الدالةِ على صدقهم وصحةِ ما جاؤوا به)**.

أي: المعجزات التي لا يستطيعها البشر؛ مثل القرآن، وإجابة الدعاء، وما يخبر به من المستقبَلات، ومثل ما يقع له من كونه يدعو الشجرة فتأتي، ثم يأمرها أن ترجع فترجع! ومثل تكثير الماء وكونه ينبع من بين أصابعه! فكلها أمور لا يستطيعها البشر، وليس فيها حِيَل، وإنما هي آيات.

ومن ذلك ما روي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «إنَّا يومَ الخندقِ نحْفِرُ، فعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شدِيدةٌ، فجاؤوا النَّبِيَّ ﷺ فقالوا: هذه كُدْيَةٌ عرَضَتْ في الخندَقِ، فقالَ: **«أَنَا نَازِلٌ»**. ثمَّ قامَ وبطْنُهُ معصُوبٌ بِحَجَرٍ، ولبِثْنَا ثلَاثةَ أيَّامٍ لَا نذُوقُ ذَواقًا، فأَخذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فضرَبَ، فعادَ كثِيبًا أَهْيَلَ ـ أو أَهْيَمَ ـ، فقُلْتُ: يا رسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي إلى البيتِ، فقُلْتُ لامْرَأتِي: رأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيئًا ما كانَ فِي ذلِكَ صبْرٌ، فعِنْدَكِ شيْءٌ؟ قالَتْ: عِنْدِي شعِيرٌ وعَناقٌ، فذَبحتِ العَنَاقَ، وطحنَتِ الشَّعِيرَ حتَّى جعلْنَا اللَّحمَ في البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئتُ النَّبِيَّ ﷺ، والعَجِينُ قد انْكَسَرَ، والبُرْمَةُ بيْنَ

.....

الأَثافِيِّ قَدْ كادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فقلْتُ: طُعَيِّمٌ لي، فقُمْ أَنْتَ يا رسُولَ اللهِ ورجُلٌ أو رجُلانِ، قالَ: «كَمْ هُوَ؟» فذَكَرْتُ لهُ، قالَ: «كثِيرٌ طَيِّبٌ»، قالَ: «قُلْ لها: لَا تَنْزِعِ البُرْمةَ، ولا الخُبْزَ من التَّنُّورِ حتَّى آتِيَ، فقالَ: «قُومُوا» فقامَ المُهاجِرُونَ والأَنصَارُ، فلَمَّا دخلَ علَى امرَأتِهِ قالَ: ويْحَكِ! جاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالمُهاجِرِينَ والأَنصَارِ ومنْ معهُمْ! قالتْ: هلْ سأَلَكَ؟ قُلْتُ: نعمْ، فقالَ: «ادْخُلُوا ولا تَضَاغَطُوا» فجعلَ يَكْسِرُ الخُبزَ، ويجْعَلُ علَيهِ اللَّحمَ، ويُخمِّرُ البُرْمةَ والتَّنُّورَ إذا أَخَذَ مِنْهُ، ويُقَرِّبُ إلى أَصحابِهِ ثُمَّ ينْزِعُ، فلَمْ يزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، ويَغْرِفُ حتَّى شَبِعُوا وبَقِيَ بقِيَّةٌ! قالَ: «كُلِي هذَا وأَهْدِي؛ فإِنَّ النَّاسَ أَصابَتْهُمْ مجاعةٌ»، وفيه رواية: «وهُمْ أَلْفٌ، فأُقْسِمُ باللهِ، لقد أكلُوا حتَّى تَرَكُوهُ وانْحرَفُوا، وإِنَّ بُرْمتَنَا لتَغِطُّ كما هيَ، وإِنَّ عَجِينَنَا ليُخبزُ كما هُوَ!»[1]، بقي الطعام كما هو؛ كأنه لم يؤخذ منه شيء!

فلا بد أن يتيقن الإنسان أنه رسولٌ من الله أرسله بآياته، وهذه هي البراهين، لا البراهين التي يقولها المتكلمون من عقولهم.

وأصل البرهان الشُّعاع الذي ينطلق من الشمس، سمي برهانًا؛ لقوة نوره.

ولا يُطلق البرهان إلا على الدليل الواضح الجليّ، وآياتُ الرسل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، وهي الأحزاب (٥/١٠٨) برقم (٤١٠١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الأشربة، بابُ جوازِ اسْتِتْباعِهِ غيرَه إلى دارِ من يثِقُ بِرِضاه بذلك، وبِتَحقُّقِهِ تحقُّقًا تامًّا، واستحبابِ الاجتِماعِ على الطَّعام (٢٠٣٩).

وأنهم أكملُ الخلقِ علمًا وعملًا، وأصدقهم وأبَرُّهم، وأكملهم أخلاقًا وأعمالًا.

وأن الله خصَّهم بخصائصَ وفضائلَ لا يلحقهم فيها أحدٌ، .....

كلها أدلة واضحة جلية؛ ولهذا تسمى براهين. وقد سماها كثير من الناس معجزات؛ لأن البشر يَعجِزون عن الإتيان بشيءٍ منها، فهي خاصة بهم، وقد يكون لأتباعهم شيءٌ من ذلك، وهي الكرامات التي يكرم الله ﷻ بها عباده؛ فهي تابعة للآيات التي جاء بها الرسل، ولا تكون إلا لمن تبع الرسول ﷺ واقتفى أثره. ولا تلتبس هذه الكرامات بالشعوذة والأحوال الشيطانية؛ فهناك فرقٌ كبيرٌ بين هذه وتلك.

قد تختلف الأدلة التي يأتي بها الرسل، ولكنها تتفق فيما بينها في وجوب أن يكون فيها تحدٍّ وبرهانٌ قاطعٌ على أنهم جاؤوا بها من عند الله ﷻ، فلا يكون لأحدٍ عذرٌ حينئذٍ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنهم أكمل الخلقِ علمًا وعملًا، وأصدقهم وأبَرُّهم، وأكملهم أخلاقًا وأعمالًا).

هذا من صفاتهم، ويجب أن يؤمن العبد بأنهم أكمل الخلق علمًا وعملًا، وأبَرُّهم أخلاقًا وأعمالًا، وأن الله ﷻ خصهم بخصائص ليست للبشر، وهي الآيات والوحي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأن الله خصهم بخصائصَ وفضائلَ لا يلحقهم فيها أحد).

هم أكمل الناس علمًا وصدقًا، وأقدرهم على البيان، وأعلمهم بالله وأصدقهم بما يبلِّغون. وهذا من أكبر الأدلة التي يُفَرَّق بها بينهم وبين الكاذبين؛ فإذا قال إنسان: أنا نبيٌّ. فهو إما أن يكون من أتقى الخلق

. . . . . .

وأبرهم وأصدقهم وأتقاهم وأخشاهم لله، وإما أن يكون أفجر الخلق وأكذبهم وأضلهم. ولا يلتبس هذا على من كان له نظر.

يقول عبد الله بن سَلَامٍ رضي الله عنه: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ؛ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ»[1].

وكذلك في قصة هرقل[2] وغيره.

ومن أدلة صدقه أيضًا أنه يأتي وحده إلى أمةٍ كافرةٍ يخالفها كلها، ثم يتحداهم، إن لم يؤمنوا به سلَّطه الله عليهم، فأخذ أموالهم وقَتَل مُقاتِلَتَهم، وهو وحده وليس له من يحميه!

هذا من أكبر الأدلة على صدقه؛ لأنه واثق بالله ﷻ، ويخبرهم بأمر لا يشك فيه، وهذه طريقة الرسل؛ كلهم يتحَدَّون أقوامهم: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: ٥٤]، هكذا يقول كل الرسل.

وقد جاء في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنَ الْأَنبِيَاءِ**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، عن رسول الله ﷺ (٤/ ٦٥٢) برقم (٢٤٨٥)، قال الترمذي: هذا حديث صحيح. وابن ماجه في سننه، في كتاب إقامة الصلاة، والسُّنَّة فيها، باب ما جاء في قيام الليل (١/ ٤٢٣) برقم (١٣٣٤)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم (٧٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (١/ ٨) برقم (٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (٣/ ١٣٩٣) برقم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه.

وأن الله برَّأهم من كل خُلقٍ رذيلٍ.

وأنهم معصومون فيما يُبلِّغون عن الله تعالى، وأنه لا يستَقِرُّ في خبرهم وتبليغهم إلا الحق والصواب.

مِن نَبِيٍّ إِلَّا قَد أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأن الله برَّأهم من كل خُلُقٍ رذيل).

هذا من الآيات التي يُعرف بها الرسل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنهم معصومون فيما يُبلِّغون عن الله تعالى).

هم معصومون فيما جاؤوا به عن الله ﷻ، وفيما يبلغونه من الأمر والنهي، أما غير ذلك من أمور الدنيا فهم غير معصومين فيها؛ إذ ينالهم فيها ما ينال البشر من الأذى، والضر، والمرض، وغير ذلك. قال الله ﷻ مخاطبًا نبيه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، ثم خصَّه بما مَيَّزه به عنهم: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنه لا يستقرُّ في خبرهم وتبليغهم إلا الحق والصواب).

هذه إشارة إلى ما وقع في قصة الغرانيق، وقد اختلف الناس فيها إلى **ثلاث فرق:**

الفرقة الأولى: أنكروها بالتمام، وقالوا: إنها باطلة، لا يمكن أن تقع، وإنها منافية للعصمة، مع أن أصل القصة في «الصحيحين»!

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل (٦/ ١٨٢) برقم (٤٩٨١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته (١/ ١٣٤) برقم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

.....

الفرقة الثانية: غلت في إثباتها، وأثبتت شيئًا لم يقله الرسول ﷺ.

الفرقة الثالثة: توسَّطت ـ وهو الحق ـ وقالت: إن لها أصلًا، كما ورد في «الصحيحين» أن الرسول ﷺ لما قرأ على قريش سورة النجم ووصل إلى السجدة، سجد فسجدوا كلهم، فظن الناس أنهم آمنوا، وهم سمعوا كلام الشيطان، لما قرأ ﷺ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢١]، ألقى الشيطان في مسامع الكفار: (تلك الغرانيقُ العُلى وإنَّ شفاعَتَهنَّ لتُرتَجى)، ففرحوا وقالوا: هذا الذي نريد، نريد الشفاعة. فظنوا أن الرسول قال هذا الكلام، وهو لم يقله، وإنما قاله الشيطان، فلما سجدوا قالوا: أنت قلتَ كذا؟ قال: لم أقل كذا. قالوا: سمعنا! فخاف الرسول ﷺ خوفًا شديدًا أن يكون قد سبقه لسانه، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٤]. ولما قال لهم ﷺ هذا، عادوا إلى شركهم وكفرهم أشدَّ ما كانوا، وشاعت المسألة وانتشر الخبر حتى وصل إلى المهاجرين في الحبشة أن قريشًا أسلموا، فرجع من رجع منهم، فوجدوا الأمر أشد مما كان!

إن إلقاء الشيطان فتنةٌ للقاسية قلوبهم، فينسخه الله، ثم يُحكِم آياته،

وأنه يجب الإيمان بهم وبكلِّ ما أوتوه من الله، ومحبَّتهم وتعظيمهم، .....

والله عليمٌ حكيم، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، واختيار غيره من بعض العلماء.

وقد أنكر ذلك القاضي عياض إنكارًا شديدًا، وقال: إن هذا ينافي العصمة. وتبعه في هذا من تبعه.

مع أن هذا في الواقع لا ينافي العصمة؛ فلا إشكال في نسخ قول الشيطان. وقد اضطرب الذين أنكروا القصة عند تفسيرهم آية سورة الحج، ولم يأتوا بشيءٍ مقنعٍ أصلًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أوتوه من الله، ومحبتهم وتعظيمهم).

يجب محبتهم وتعظيمهم، ولكن محبتهم محبة في الله ولله ﷻ، فهم يُحَبُّون؛ لأنهم رسل الله، ولأن الله يُحبهم، ولأنهم صاروا سببًا في إنقاذ الناس من الكفر والشرك، فأوجب الله ﷻ محبتهم تبعًا لمحبته، وهي ليست محبة مع الله؛ بل محبة في الله ولله.

إن المحبة التي تكون لله هي محبة التألُّه والتعبد، وهي محبة ذاتية؛ أي: أن يحب الله لذاته، ولا يوجد في الخلق مَن يُحَبُّ لذاته أصلًا، وإنما يُحَبُّ لما يقوم به مِن الأعمال، والصفات، وغير ذلك. أما المحبة للذات فهي خاصة بالله ﷻ.

ويجب أن تكون محبةُ الله ورسوله مقدمةً على محبة النفس، والولد، والأهل، والناس أجمعين. عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ**

وأن هذه الأمورَ ثابتةٌ لنبينا محمدٍ ﷺ على أكملِ الوجوه.

أَجْمَعِينَ»[١]، ولا يؤمن الإنسان الإيمان الواجب إلا بذلك، فهذا من الواجبات العينية التي تجب على كل إنسان.

والمحبة نوعان:

النوع الأول: محبة خاصة لله، وهي محبة الذل والتعظيم والتألُّه.

النوع الثاني: محبة تَبَع لمحبة الله، فنحب الرسل؛ لأن الله ﷻ أمر بحبهم، ولأن الله ﷻ يُحبهم، ولأنهم أكمل الناس عبادة لله ﷻ، ولأنهم هم الذين دلُّوا على الحقِّ والخيرِ والسعادة. فمحبتهم مكَمِّلة لمحبة الله، وليست محبة مع الله.

كما يجب أيضًا تعظيمهم وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها، كما قال ﷺ: «**وَاللهِ، مَا أُحِبُّ أَن تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنزِلَتِي الَّتِي أَنزَلَنِي اللهُ**»[٢].

يجب أن تكون محبتهم وتعظيمهم وَفقًا لأمر الله وإرادته، فلا يجوز أن يغلوَ الإنسان فيهم، ولا أن يُقصِّرَ فيما يجب لهم من المحبة والتعظيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأن هذه الأمور ثابتةٌ لنبينا محمدٍ ﷺ على أكمل الوجوه).

إن الأنبياء يتفاضلون فيما بينهم؛ فمن كان أكمل عند الله وأفضل،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، بابٌ: حبُّ الرَّسُولِ ﷺ من الإيمانِ برقم (١٥)، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب وجوبِ محبَّةِ رسولِ الله ﷺ أكثَرَ من الأهلِ والولدِ والوالِدِ والنَّاسِ أجمعينَ، وإطْلاقِ عدمِ الإيمانِ على من لم يُحبَّهُ هذهِ المحبَّةَ برقم (٤٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠/ ٢٣) برقم (١٢٥٥١)، والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٠٣) برقم (١٠٠٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأنه يجب معرفةُ جميعِ ما جاء به من الشرعِ جملةً وتفصيلًا،...

فمحبته أكمل، وقد أخبرنا ربنا ﷻ أنه فضَّل بعضهم على بعض؛ فاتَّخَذ إبراهيم خليلًا، وكلَّم موسى تكليمًا، واتَّخَذ محمدًا ﷺ خليلًا، كما اتَّخَذ إبراهيم خليلًا.

أما التفضيل بينهم من باب التعصب وإظهار الفضل، فهذا من المحرمات التي لا تجوز، وعلى ذلك يُحمَل ما جاء من الأحاديث؛ كقول الرسول ﷺ: **«لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنبِيَاءِ اللهِ»**(١).

المقصود أنه ﷺ هو المهيمن على مَن سبقه، وهو خاتَم الرسل، وهو خطيبهم، وإمامهم، وهو كما قال ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ»**(٢). ويتجلَّى ذلك يوم القيامة؛ فلا بد من الإيمان به، وتعظيمه، ومعرفة حقه.

ومن كمال محبته اتِّباعُه، والدعوة إلى ما كان يدعو إليه، ولا بد للعبد أن يكون له نصيبٌ مِن ذلك، وإلا فلا يكون مِن أتباعه على الحقيقة؛ لأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأنه يجب معرفة جميع ما جاء به من الشرع جملةً وتفصيلًا)**.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩﴾ [الصافات: ١٣٩] (٤/ ١٥٩) برقم (٣٤١٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ (٤/ ١٨٤٣) برقم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب المناقب، باب (٥/ ٥٨٧) برقم (٣٦١٥)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة (٢/ ١٤٤٠) برقم (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

والإيمانُ بذلك، والتزامُ طاعته في كل شيءٍ؛ بتصديقِ خبره، وامتثالِ أَمره، واجتنابِ نهيه.

ومن ذلك أنه خاتم النبيين، .....

هذا واجبٌ على الأمة عمومًا وليس على كل فرد؛ إذ الواجب على كل فرد معرفة ما يُقوِّم به دينه، فيعرف أوامر الله ونواهيه، أما كل ما جاء به الرسول ﷺ فهذا يجب على الأمة عمومًا، وهذا ما يضطلع به العلماء، وهم يعلمون كل ما جاء به الرسول ﷺ، لكن العلوم تتفاوت؛ فهذا يعلم شيئًا، وذاك يعلم شيئًا لم يعلمه الآخر، وهكذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والإيمان بذلك)**.

أي: بما جاء به الرسول ﷺ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والتزام طاعته في كل شيء)**.

الالتزام: هو دوام الطاعة، فيكون مداومًا على طاعته ﷺ في كل ما شرع، ولا اختيار للعبد في هذا، ولا نظر له فيه؛ بل يجب أن يطيع طاعة كاملة دون نظر، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بتصديق خبره، وامتثال أمره، واجتناب نهيه)**.

هذا هو معنى الإيمان بالرسول ﷺ؛ أن يُطاع ويُتَّبَع، مع المحبة والتعظيم اللائقينِ به صلوات الله وسلامه عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومن ذلك أنه خاتَم النبيين)**.

كل من ادَّعى أنه نبيٌّ، أو أنه أُوحي إليه، إنما هو كاذب، يجب أن يُكفَر به؛ لأنه مُكذِّبٌ لكتاب الله ﷻ. قال ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن

. . . . . .

رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فبه ﷺ خُتمت النبوة، فلا نبيَّ بعده.

أما عيسى عليه السلام فإنه سينزل، ولكن يحكم بشريعةٍ محمد ﷺ، ولا يأتي بشريعة جديدة، ولا يَحكم بالشرع الذي جاء به سابقًا؛ لأنه نُسخ بشريعة محمدٍ ﷺ؛ فهو من جملة أمته؛ بل هو خيرها وأفضلها بعد نبينا ﷺ.

وكل من يدَّعي أنه أُوحِيَ إليه، أو أنه نبيٌّ، أو أنه رسول؛ فهو إما أن يكون مختلَّ العقل، وإما أن يكون كاذبًا كَذِبًا ظاهرًا.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[(١)].

من يدَّعون النبوة كثيرون جدًّا، ولكن المقصود بالثلاثين هم الذين يكون لهم قوة وأتباع، أما مجرد الدعوى فلا حصر لها.

وآخر الثلاثين هو الدَّجَّال الكذَّاب، الذي هو أكبر الكاذبين، وقد حذرنا إياه رسول الله ﷺ، وسوف يخرج، ولا شك في ذلك، وفي أول خروجه يقول: إنه مصلح، ويدعو للإصلاح، فيحبه من يحبه ويتَّبِعه الناس، ثم بعد ذلك يزعم أنه نبي، فيتركه كثيرٌ من أتباعه، ثم بعد ذلك يزعم أنه ربّ العالمين، ويكون معه فتنٌ وأمور عجيبة جدًّا، ووقته ليس

(١) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤/ ٩٧) برقم (٤٢٥٢)، والترمذي في سننه، في كتاب الفتن، باب ما جاء: لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٤/ ٤٩٩) برقم (٢٢١٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

قد نَسَخت شريعتُه جميعَ الشرائع، .....

بعيدًا ـ والله أعلم ـ؛ لأن الأمور مُوطَّأة له الآن، وسنة الله ﷻ أن الأمور لا تأتي فجأة؛ بل لا بد أن يكون لها مقدِّمات، ومن المقدمات التي يراها الإنسان الآن كثرة الكذب في وسائل الإعلام، وفي المعاملات وغيرها، حتى أَلِف الناس الكذب وصاروا يصَدِّقونه!

وعندما يخرج الدجال يأتي بشريعة الكذب، وهو أكذب الخلق؛ لأنه يزعم أنه نبي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الدجال له **معنيان**:

المعنى الأول: مأخوذ من الكذب والدَّجَل والتزوير، وهذا يشمل كل من كذب في شرع الله، ويدخل فيه الذين لبَّسوا على الناس دينَهم وأفسدوه؛ مثل المعتزلة، والقرامطة، وغيرهم.

المعنى الثاني: الدجَّال بعينه الذي يأتي ويدَّعي النبوة، ثم يدَّعي الربوبية[1].

وقد ظهر في وقته ﷺ كذَّابان من الثلاثين، وهما: الأسوَدُ العَنسِيُّ الذي قُتل في حياته ﷺ، ومُسيلِمةُ الكَذَّاب الذي قُتل في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنهم طليحة الأسدي الذي تنبَّأ في قومه، واتبعوه عليه وصدقوه، وصاروا يقاتلون معه. ثم تتابع الكذَّابون.

وقد أمرنا الرسول ﷺ بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قد نَسَخَت شريعتُه جميعَ الشرائع)**.

---

(١) ينظر: الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٣/ ٤٨٦).

وأن نبوته وشريعته باقيةٌ إلى قيامِ الساعة، فلا نبيَّ بعده، ولا شريعةَ غيرُ شريعته في أصول الدين وفروعه.

ويدخلُ في الإيمان بالرسلِ الإيمانُ بالكتب؛ فالإيمان بمحمدٍ ﷺ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به من الكتاب والسُّنَّة؛ ألفاظها ومعانيها،

لو قال قائل: هل أصحاب الشرائع السابقة الآن على خير وهدى؟

الجواب: لا، هم على ضلال، وإن ماتوا فإنهم في جهنم؛ لأنهم يلزمهم أن يتبعوا الرسول ﷺ؛ لأنه جاء ونسخ الشرائع كلها؛ فاليهود والنصارى على ضلال، فهم ضالون، وهم من حَطَب جهنَّمَ إن لم يدخلوا في هذه الشريعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأن نبوته وشريعته باقيةٌ إلى قيامِ الساعة).

فكل من يزعم مِن بعده أنه نبي، فهو كاذب، وهو من حَطَب جهنم. وقد أخبر ﷺ كما ذكرنا من قبل ـ أنه سيأتي بعده كذابون دجالون يزعمون أنهم أنبياء[1]. وهو خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه، ولا بد من الإيمان بأنه لا نبي بعده ﷺ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا شريعة غير شريعته في أصول الدين وفروعه).

من زعم أنه يَسَعُه الخروجُ عن شريعته، وأنه من الممكن أن توجد طرق إلى الجنة أو إلى الحق غير الطريقة التي جاء بها ﷺ؛ فهو كافرٌ بالله ﷻ، وبرسوله ﷺ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويدخلُ في الإيمانُ بالرسل الإيمانُ بالكتب؛ فالإيمان بمحمدٍ ﷺ يقتضي الإيمانَ بكل ما جاء به من الكتاب والسُّنَّة؛ ألفاظها ومعانيها).

---

(١) سبق تخريجه.

فلا يتمُّ الإيمان به إلا بذلك، وكل من كان أعظمَ علمًا بذلك، وتصديقًا واعترافًا وعملًا؛ كان أكمل إيمانًا.

والإيمان بالملائكةِ والقَدَرِ داخلٌ في هذا الأصل العظيم.

المعاني هي المقصودة، ومن اقتصر على اللفظ، أو جعله يدل على شيءٍ بعيد المعنى، لم يتبع رسول الله ﷺ كما ينبغي، ولم يأتِ بالإيمان الذي يجب عليه.

وقد جاء الرسول ﷺ بالإيمان بالرسل كلهم، وبالكتب المنزلة كلها، كما ذكر الله ﷻ ذلك في آياتٍ عدة من كتابه العزيز.

والإيمان بالرسول ﷺ يقتضي الإيمان برسالته التي جاء بها، وهو قد جاء بكتاب الله ﷻ وبالوحي؛ يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فلا يتمُّ الإيمان به إلا بذلك، وكل من كان أعظَم علمًا بذلك، وتصديقًا واعترافًا وعملًا، كان أكمل إيمانًا)**.

الناس يتفاضلون فيما بينهم في الإيمان، ومقياس هذا التفاضل هو كمال التصديق، وكثرة العلم، والعمل؛ فمَن كان أعظم علمًا، وعَمِل بالعلم الذي عَلِمَه؛ كان أكمَلَ إيمانًا، وأقرَبَ إلى رسول الله ﷺ، وأرفَعَ درجةً يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والإيمان بالملائكةِ والقَدَر داخلٌ في هذا الأصل العظيم).

الملائكة هم رسل الله ﷻ، الذين يُرسلهم في أوامره حيث يشاء، ومنهم من يكون رسولًا إلى البشر؛ لأن البشر لا يأخذون عن الله ﷻ بلا واسطة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ [الشورى: ٥١].

.....

والإيمان بالملائكة يكون مفصَّلًا ومُجمَلًا؛ كالإيمان بالرسل، وكثير بل أكثر الملائكة لا نعرف أسماءهم، وإنما نعرف قليلًا منهم. فنعرف وظائفهم التي ذُكرت لنا؛ فمنهم الكرام الكاتبون الذين كُلِّفوا بكتابة الأعمال، فيجب أن نؤمن بهم ونحترمهم، وقد أمر الله ﷻ بذلك، فقال: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١١ ـ ١٢].

وقوله: ﴿كِرَامًا﴾ إشارة إلى ضرورة أن نُكرمهم؛ لأنهم كرام عند الله. وإكرامهم يتأتى بألَّا نقابلهم بالأعمال السيئة التي تَشق عليهم، وكذلك الحَفَظة، فالكَتَبة غيرُ الحَفَظة.

وكل إنسان معه عدد من الملائكة؛ ملائكة تُوجِّهه وتُسدِّده، وملائكة تحفظ أعماله، وملائكة تحفظه؛ قال الله ﷻ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وفي «الصحيحين»: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُم مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ**»(١).

كل إنسان معه اثنان في النهار واثنان في الليل، يجب أن نؤمن بذلك.

وكذلك غيرهم من الذين كُلِّفوا بالمطر، وبالرياح، والسحاب، والجبال وغيرها؛ هم أيضًا خُلقوا للعبادة، فلا يأكلون ولا يشربون، قُوْتُهم التسبيح والتكبير والتهليل، فهم عُبَّاد لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولا يَفْتُرون عن العبادة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (١/ ١١٥) برقم (٥٥٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتَي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما (١/ ٤٣٩) برقم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن تمامِ الإيمان به أن يَعلمَ أن ما جاء به حقٌّ لا يمكن أن يقومَ دليلٌ عقليٌّ أو حسيٌّ على خلافه، .....

وفي الحديث يقول ﷺ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَن تَئِطَّ**»(١). والأطيط: هو صوت الرَّحْلِ إذا حُمِلَ عليه الحمل الثقيل؛ أي: أن السماء مُحَمَّلة من الملائكة، ليس فيها موضع إلا ومَلَكٌ قائمٌ أو ساجدٌ أو راكع.

لما عُرج به ﷺ رأى البيت المعمور، فقال: «**أَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ**»(٢). فالبيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَكٌ لا يعودون إليه مرةً أخرى؛ لأنهم لا يجدون فرصةً، ولا يجدون متَّسعًا بأن يعودوا مرةً ثانية؛ لكثرتهم!

فالملائكة كثيرون جدًّا، وكل سماء فيها عامرُوها من الملائكة الذين يتعبدون لله ﷻ، فيجب أن نؤمن بهم جملةً وتفصيلًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومن تمام الإيمان به أن يعلم أن ما جاء به حقٌّ لا يمكن أن يقوم دليلٌ عقليٌّ أو حسيٌّ على خلافه)**.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا**» (٤/٥٥٦) برقم (٢٣١٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٤/١٠٩) برقم (٣٢٠٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السمٰوات، وفرض الصلوات (١/١٤٩) برقم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

كما لا يقوم دليلٌ نقلي على خلافِه؛.....

ما جاء به ﷺ هو الحق الواضح، وهذا إشارة إلى الرد على المتكلمين الذين يقولون: إنَّ البراهين في العقول، وهي التي يجب أن يَرجِع إليها السمع؛ لأن الأصل أننا عرفنا الرسول ﷺ بعقولنا.

ووَفقًا لقولهم يكون ما جاء به الرسول ﷺ فرعًا، ولا يمكن أن يقضي الفرع على الأصل.

وهذا كلام باطلٌ؛ لأن العقل لا يمكن أن يَستقلَّ بشيء، ولكن الرسول ﷺ جاء بما يُرشد العقلَ ويقوِّمه ويدلُّه على الطريق السَّويِّ؛ يقول ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

فقوله ﷻ: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾؛ أي: عندهم عقول يميزون بها.

إن من تمام إيمان المرء أن يُسَلِّم لشرع الله ﷻ ويعلم أنه الحق، وأنه لا يمكن أن يكون مخالفًا للواقع أو للعقول، فإن بدا للإنسان أن شيئًا من ذلك يعارض العقل أو الواقع، يجب أن يتَّهِم فهمه، ويعلم أنه هو الذي أخطأ، أما ما جاء به الرسول ﷺ فهو الحق؛ لأنه من عند الله ﷻ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما لا يقوم دليلٌ نقليٌّ على خلافه).

إذا رأى الإنسانُ دليلًا يعارض دليلًا آخر، فإما أن يكون ذلك راجعًا إلى فهم خاطئ، وإما أن يكون أحد الدليلين كذِبًا؛ إذ لا يوجد اختلاف في الوحي؛ لأنه من عند الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

فالأمور العقليةُ أو الحسية النافعة تجد دلالةَ الكتاب والسُّنة مثبِتةً لها، حاثَّةً على تعلُّمها وعملها، وغيرُ النافع من المذكورات ليس فيها ما ينفي وجودها، وإن كان الدليلُ الشرعي ينهى ويذم الأمورَ الضارةَ منها، ويدخلُ في الإيمان بما جاءَ به الرسولُ ﷺ، بل وسائر الرسلِ.

من الممكن أن يقع، فيُحَرَّف النص ويُمال به عن مقصوده، فيكون على حسب زعم المُحرِّف دليلًا له. وهذا رد على المتكلمين الذين يجعلون العقولَ هي المَرجِعَ ومَناطَ التكليف.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالأمور العقليةُ أو الحسية النافعة تجد دلالةَ الكتاب والسُّنَّة مثبتةً لها، حاثَّةً على تعلُّمها وعملها).

أي: أن دلالة هذه الأمور النافعة التي تكون من أمور الدنيا موجودة في الكتاب والسُّنَّة، ولكن لا يصل إليها إلا العلماء الذين اختصهم الله ﷻ بهذا.

ويقصد بذلك الصناعات المُحْدَثة التي وُجدت؛ إذ لا يمكن أن يدل الكتاب والسُّنَّة على خلاف النافع.

ولا يوجد دليل في الكتاب ولا السُّنَّة على رفض الشيء المُستحدَث النافع.

وقد بيَّن لنا الله ﷻ كل ما هو نافع من أمور الدنيا والآخرة؛ فقد جاء القرآن والأحاديث بقواعد وكليات، ويندرج تحت كل قاعدة منها ما لا حصر له من الأمور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وغير النافع من المذكورات ليس فيها ما ينفي وجودها، وإن كان الدليل الشرعي ينهى ويذم الأمور الضارة منها).

ليس في الكتاب والسُّنَّة ما ينفي حدوثها ووجودها، ولكن لا يأمر بها ولا يدل عليها؛ فهي مما سُكِت عنه.

.....

أما الضار فإن الله ﷻ يَنهى عنه، ويحَرِّمه، ولا يأمر به. والخير كله في الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، ولا يصيب العبدَ شرٌّ إلا إذا ابتعد عن هذا.

أما النافع المفيد فإن الله ﷻ يأمر به ويحُثُّ عليه، وإذا وُجِد نوع مضَرَّة في شيء منه، وكانت مصلحته أعم وأشمل؛ فإنه يكون داخلًا في الشرع.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصلُ الثالثُ

الإيمانُ باليوم الآخِرِ

فكلُّ ما جاء به الكتاب والسُّنَّةُ مما يكون بعد الموتِ، فإنه من الإيمان باليومِ الآخِر؛ كأحوال البرزخِ، وأحوال يوم القيامةِ وما فيها من الحسابِ، والثواب، والعقابِ، والشفاعة، والميزان، والصحفِ المأخوذةِ باليمين والشمالِ، والصراط، وأحوالِ الجنة والنارِ، وأحوال أهلها، وأنواعِ ما أعدَّ الله فيها لأهلها إجمالًا وتفصيلًا؛ فكل ذلك داخلٌ في الإيمان باليومِ الآخِرِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأصلُ الثالثُ: الإيمانُ باليوم الآخِرِ).

هذا هو الأصل الثالث، وهو الإيمان باليوم الآخِر، والمقصود به ما بعد الموت؛ فكل ما بعد الموت داخلٌ فيه، فالإنسان إذا فارق الدنيا يكون حيًّا في القبر، يلقى جزاءه؛ فإما أن يُعذَّب، وإما أن يُنعَّم.

وحياة البرزخ حياة أخروية لا نعرف حقيقتها، ولكنها حياة يَعقل الإنسان فيها، ويُسأل، ويُجيب، ويُنعَّم، ويَعلَم؛ فإما أن يكون منعَّمًا، وإما أن يكون مُعَذَّبًا؛ كلٌّ حسب عمله.

يدخل في ذلك ما أخبر به الرسول ﷺ، وذكره الله ﷻ في كتابه؛ مما يكون قبل الساعة مِن الأمور الكبيرة التي فيها إزالة الجبال، وفيها تُدَكُّ الأرض وتُغَيَّر، وفيها أمورٌ عِظامٌ لا يمكن أن يبقى معها حياة، فيموت كلُّ مَن يكون حيًّا عند قيام الساعة بالنفخ في الصور.

والنفخ في الصور يكون مرتين، على القول الراجح؛ مرةً للإماتة، ومرةً للإحياء.

.....

فيجب الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله ﷻ، وبما أخبر به الرسول ﷺ.

وقد أخبر الرسول ﷺ بأحوال البرزخ وبغيرها مما يكون إلى قيام الساعة، وما يكون بعد ذلك مِن بعْث الناس وحشْرهم حُفاةً عراةً غُرْلًا، ووقوفهم وقوفًا طويلًا لله ﷻ، وتدنو الشمس منهم، ويختلف عذابهم في ذلك الموقف حسب إيمانهم وحسب أعمالهم؛ فمنهم مَن يَطُول عليه طولًا عظيمًا، وقد جاء أنه مقدارُه؛ خمسين ألفَ سنة.

كذلك أخْذُ صحائف الأعمال، وهذه علامات على الشقاء والسعادة؛ فمن كان شقيًّا أخذ كتابه بشماله، ومن كان سعيدًا أخذ كتابه بيمينه، ولا يدخل كل من يأخذ كتابه بيمينه الجنةَ رأسًا؛ فقد يَحدُث له ما يَحدُث!

وكذلك نَصْبُ الموازين، وقد جاء لفظ «الموازين» بصيغة الجمع في القرآن كله. قيل: ذلك بسبب تعدد الأعمال؛ فلكل عمل ميزان. وقيل غير ذلك.

والميزان كبيرٌ جدًّا، ولكنه دقيق يَمِيل بالشعرة! وهو ميزان حقيقةً توزَن به الأعمال، ومعنى ذلك: أن الأعمال تُجسَّد، وتُرى، وتُشاهد، وتُوضع في الميزان، وكذلك صاحبها قد يُوزَن، وقد جاء كلاهما في نصوص القرآن.

ثم الحوض، والحوض هو مُجتَمَع الماء، ولكل نبيٍّ حوضٌ؛ لأن كل أمة تتبع نبيها. وأعظمها وأكبرها هو حوض نبينا ﷺ، وهو أكثرها وِرْدًا؛ لأن أمته أكثر الأمم.

.....

ثم نَصْب الصراط فوق جهنم، فيعبر الناس عليه. ومن المعلوم أن الجنة في السماء، ومع ذلك يعبرونه بحسب ما عملوا في هذه الدنيا؛ منهم من يتعثر، ومنهم من يسقط في النار؛ فالصراط عليه كلاليب قد مثَّلها الرسول ﷺ بقوله: «**وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ**»(١)، غير أنه لا يَعلَمُ عِظَمَها إلا اللهُ ﷻ، فمن الناس من تختطفه هذه الكلاليب وتُلقي به في النار.

ثم هناك قنطرة بعد الصراط، فيقتص للمؤمنين بعضهم من بعض، وهؤلاء هم الذين علم الله ﷻ أن هذه الأمور لا تمنع دخولهم الجنة. ويكون الاقتصاص بأخذ الحسنات منهم؛ لأن القصاص بالحسنات فقط، فإذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذِن لهم في دخول الجنة.

كل هذا قبل دخول الجنة، وأول من يَفتتح الجنة نبيُّنا ﷺ؛ فقد قال ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»(٢).

ثم كذلك سُكْناهم في الجنة، ثم المناداة بعد ذلك.. يصبح أهلُ الجنة ينادون أهل النار، وأهلُ النار ينادونهم، وكذلك أصحاب الأعراف.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأذان، باب فضل السجود (١/ ١٦٠) برقم (٨٠٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣) برقم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**» (١/ ١٨٨) برقم (١٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

. . . . . .

والقول الصحيح في أصحاب الأعراف: أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فأُوقفوا في مكانٍ مُشرِفٍ على الجنة والنار.

والجنة تكون في السماء، أما النار ففي أسفل سافلين، ومع هذا يسمع أهل الجنة أصوات أهل النار، ينادونهم وتبلغهم نداءاتهم، وقد ذكر الله ﷻ أنَّ مِن أهل الجنة مَن يتساءل عن أصحابه، ويتذكر ما كان في الدنيا، ثم يذكر قرينه وصاحبه في الدنيا الذي كان يأمره بالخطايا وبالمعاصي، فيطَّلِع في النار حتى يشاهد ذلك الشقي ويخاطبه؛ يقول الله ﷻ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصافات: ٥٠ ـ ٥٥].

وهذا مِن قدرة الله ﷻ، وهي أمورٌ لا نعرف حقائقها، وإنما يجب الإيمان بها.

ثم منازلهم في الجنة وفي النار حسب أعمالهم؛ فمن كان إيمانه أكمل، وعمله أزكى، كانت منزلته أرفع، وقربه إلى الله ﷻ أتم، ومن كان دون ذلك فعلى حسَب عمله.

وآخِر من يدخل الجنة رجلٌ هو آخر من يخرج من النار من أهل التوحيد؛ لأنَّ النار يدخلها خلائق كثيرون من أهل التوحيد، ويتفاوت بقاؤهم فيها؛ فمنهم من يبقى وقتًا طويلًا، ومنهم مَن يبقى وقتًا قصيرًا، وآخِر من يَخرج منهم رجل يُخرَج من النار، كما قال النبي ﷺ: «**يَفْرُغُ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الجَنَّةَ، مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ**

. . . . . .

النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِن فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَن تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ. فَيُعْطِي اللهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الجَنَّةِ رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَن يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ، قَدِّمْنِي عِندَ بَابِ الجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ أَلَّا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ! فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَلَّا تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ. فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَن يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ! أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ أَلَّا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ. فَيَضْحَكُ اللهُ ﷻ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ. فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ قَالَ اللهُ ﷻ: مِن كَذَا وَكَذَا. أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انتَهَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ!»[1]. فذلك أدناهم منزلةً.

ثم البقاء الدائم في الجنة وفي النار، خلود بلا موت. وهذه السعادة أو الشقاء؛ فإما أن يسعد الإنسان سعادةً تامة، وإن كان ناله ما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأذان، باب فضل السجود (١/ ١٦٠) برقم (٨٠٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣) برقم (١٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

. . . . . .

ناله قبل ذلك، وإما أن يشقى شقاءً ليس له نظيرٌ فيما نعرف في دنيانا؛ فهو لا يموت ولا يُخفَّف عنه العذاب أبدًا، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦] ـ نسأل الله العافية ـ.

وقد جاء تفصيل الإيمان باليوم الآخر في القرآن، وفي أحاديث الرسول ﷺ تفصيلًا كثيرًا؛ فيجب أن يُرجَع إليه. ومن ذلك ما يقع من الأمور التي يخبر بها الرسول ﷺ مستقبلًا من أمور الساعة وغيرها، ولكن ليست من أمور الآخرة؛ فكل ما يقع في الدنيا ليس من أمور الآخرة، ولكن يجب أن نؤمن به؛ لأن الرسول ﷺ أخبر به.

أما أمور الآخرة فتشمل البرزخ الذي يكون في القبر، فالقبر حياة، ولا يعني موت الإنسان أنَّه عُدِم؛ بل انتقل من حياةٍ إلى أخرى، ولكنها حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله؛ لأنها من أمور الغيب. فيجب علينا أن نؤمن بما أخبرنا به الله ورسوله عن ذلك، ومنها عذاب الإنسان ونعيمه، وأنه يُسأل ويجيب، وغير ذلك من الأمور التي جاء تفصيلها.

وكذلك البعث بعد الموت، وهو من أمور الآخرة؛ فالله ﷻ يبعث مَن في القبور، فيعيدهم كما كانوا، فيخرج الإنسان من قبره كما وُضِع فيه يوم مات، فيَعرِفه من كان يعرفه بكل صفاته وأحواله، حتى لا يخفى على الإنسان شيء، فإذا كان له حقٌّ على آخر، يمسِكُه ويقول: أُريد حقي. فيطالبه بالحقوق!

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصلُ الرابعُ

مسألةُ الإيـــمانِ

فأهلُ السُّنَّة يعتقدون ما جاء به الكتابُ والسُّنَّة من أن الإيـمانَ هو تصديقُ القلب المتضمن لأعمالِ الجوارح.

فيقولون: الإيـمانُ اعتقاداتُ القلوبِ، وأعمالها، وأعمالُ الجوارحِ، وأقوالُ اللسان، وأنها كلَّها من الإيـمان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الأصلُ الرابعُ: مسألةُ الإيمانِ**).

من الأصول التي يجب أن نؤمن بها؛ مسألةُ الإيمان، وهي مسألة واضحة جدًّا، ومن العجيب اختلاف الناس فيها إلى الآن!.

والإيمان أمورٌ **ثلاثة**:

تصديق القلب الذي يتضمن أعماله؛ من الخشية، والخوف، والرجاء، والإنابة، وغير ذلك.

وأعمال الجوارح؛ من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتلاوة القرآن، والذكر، وغير ذلك.

وقول اللسان الذي لا بد منه؛ فلا يمكن أن يكون الإنسان مؤمنًا حتى يقول: أشهد أنْ لا إلٰه إلا الله وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله. فلو عمل أي عملٍ ولم ينطق بالشهادتين، لا يكون مؤمنًا.

فالإيمان يتكون من ثلاثة أمور، وكل واحد من هذه الأمور الثلاثة ركنٌ من أركان الإيمان.

.....

ومن العجائب ما يُكتَب الآن في الجامعات من الرسائل، فيشكك صاحب الرسالة في هذه الأمور، ويقول: إن الأعمال شرط، وهل هو شرط صحة أو شرط قبول؟ أو شرط كذا وكذا؟

والحقيقة أن الأعمال ليست شروطًا.

إن الإيمان واضحٌ وجلي، وقد نقلته الأمة نقلًا أعظم تواترًا من نقل ألفاظ القرآن.

فمسألة الإيمان مسألة عظيمة، ولكنها مع كونها عظيمة وواضحة، حَصَل فيها الاختلاف، ولا يزال الناس مختلفين فيها.

والإيمان يكون كاملًا، ويكون ناقصًا، ويكون ضعيفًا عند بعض الناس، وقد يزول، وقد يكون مرةً معه شيءٌ من الإيمان، ومرةً هو أقرب إلى الكفر، ولكنه إذا مات على شيءٍ من الإيمان فمآله إلى الجنة.

وقال الرسول ﷺ عن الإيمان: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»[1]. والشُّعبة: قطعة من الشيء؛ أي: أنه يتكوَّن من هذه الأمور. وذَكر أن أعلى هذه الشعب: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة ما يؤذي الناس عن طريقهم.

ثم يترتب على هذا الأصل أن الناس في الإيمان - كما هو معلوم - متفاوتون، وقد قسمهم الله ﷻ في القرآن إلى **ثلاثة أقسام**:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (١/ ١١) برقم (٩)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١/ ٦٣) برقم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

.....

قِسْم ظالمون، وقسم مُقتَصِدون، وقسم سابقون، كما قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

فبدأ بالظالم؛ لأنه أكثر الناس، وأكثر أهل الجنة الظالمون، ولا يلزم أن يدخل الظالم الجنة ابتداءً؛ بل قد يناله ما يناله.

وقِسْم مُقتَصِد، وقد فُسر المقتصد بأنه الذي يَقتصر على الواجبات ويترك المستحبَّات، ويترك المحَرَّمات، ولكنه يفعل المكروهات.

وقِسْم سابق للخيرات، وهذا القسم هم المقَرَّبون، وكلهم أصحاب يمين.

وقد تم تقسيم الناس كلهم مرةً أخرى ـ كما في سورة الواقعة ـ إلى **ثلاثة أقسام**: سابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.

فأصحاب اليمين يدخل فيهم المُقتَصِدون، والظالمون. والظالمون منهم مرتكب المعاصي، ومنهم مرتكب الكبائر، الذي يموت مُصرًّا عليها ولم يتب، فهو أيضًا ظالم ولكنه إذا مات على الإيمان ولم يرتَدَّ، فهو في الجنة، غير أنَّه يناله ما يناله، والأمر في ذلك إلى حُكم الحكيم العليم ﷻ؛ فإنه يحكم بين عباده بما يشاء، ولا يظلم ربك أحدًا، وقد يعفو عن الظالم، وقد يأخذه ويعاقبه حتى يتطهر من الذنوب، ثم يجتمعون في الجنة.

إذًا؛ فالإيمان هو تصديق القلب واعتقاده، وقول اللسان، وأعمال الجوارح. وهذه الأمور الثلاثة هي أركان الإيمان، وإذا لم تجتمع هذه

وأنَّ مَن أكمَلَها ظاهرًا وباطنًا فقد أكمَلَ الإيمان، ومن انتَقَصَ شيئًا منها فقد انتَقَصَ من إيمانه.

وهذه الأمور بضعٌ وسبعون شعبةً: «أعلاها قولُ: لا إلٰه إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبة من الإيمان».

الأمور الثلاثة في الإنسان فلا يكون مؤمنًا، وإذا فقد واحدًا منها فهو غير مؤمن.

وكذلك عقيدة العلم بأنَّ الإيمان الذي جاء به المصطفى ﷺ هو المُتعين على كل مكلَّف، يعلم هذا ثم يعتقده ويَعقِد عليه عَزْمَه وتصميمه، ثم تنبَعِث الجوارح بالعمل به، وبدون هذا لا يكون العبد مؤمنًا.

فهذا التعريف جامعٌ مانع، وهو دقيقٌ يدلُّك على عمق علم السلف وأهل السُّنَّة، وهذا يردُّ على المبتدعة الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق مع القول؛ كقول المرجئة، ويتفرع عنه أقوالٌ كثيرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأن مَن أكملها ظاهرًا وباطنًا فقد أكمل الإيمان، ومن انتقص شيئًا منها فقد انتقص من إيمانه، وهذه الأمور بضعٌ وسبعون شعبةً، «أعلاها قولُ: لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبة من الإيمانِ»).

مَن أكمَلَ هذه الأمور التي تكون في القلب؛ من الخوف، والرجاء، والخشية، والإنابة، وما يكون في اللسان؛ من الذكر والتلاوة، وكذلك الجوارح؛ مما هو واجبٌ على العبد من الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة كَمَل إيمانه، ومن لم يُكمِلْها فإيمانه ناقص.

ومعنى هذا أن الإيمان يَزيد ويَنقُص، وأن الناس يتفاوتون بما يُعمل

ويُرتِّبون على هذا الأصلِ أنَّ الناس في الإيـمان درجاتٌ: مُقرَّبون، وأصحاب يمين، وظالمون لأنفسهم، بحَسَب مقاماتهم من الدين والإيمان.

وأنه يَزيدُ ويَنقُصُ، فمن فعل محرمًا أو ترك واجبًا نقص إيمانه الواجب، ما لم يتب إلى الله.

بالجوارح؛ ولهذا اختلفت درجاتهم. ويدل على هذا قول المصطفى ﷺ: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»**[1].

إذًا؛ فالأعمال داخلة في مسمى الإيمان؛ لأنه سَمَّى هذه الأعمالَ الكثيرة التي فيها قول اللسان، وأعمال الجوارح، وأعمال القلوب: إيمانًا، وأدلةُ هذا كثيرة من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويُرتبون على هذا الأصلِ أن الناس في الإيمان درجاتٌ: مُقرَبون، وأصحاب يمين، وظالمون لأنفسهم، بحسب مقاماتهم من الدين والإيمان، وأنه يزيدُ وينقصُ، فمَن فعل محرَّمًا أو ترك واجبًا، نقص إيمانه الواجب ما لم يَتُبْ إلى الله)**.

يرتب أهل السُّنَّة على هذه الأدلة أنَّ الناس في الإيمان على درجات؛ منهم من كَمَل إيمانه ووصل إلى الدرجات العلا، ويكون جزاؤهم كذلك؛ ولهذا تفاوتت درجاتهم في الجنة. ومنهم المتوسط الذي لم يَكمُل، ولكنه اقتصد، ومنهم الظالم لنفسه بترك واجب أو فِعْل مُحَرَّم، ويكون مستحقًّا للعذاب إن لم يعفُ الله عنه؛ يقول ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ

---

(١) سبق تخريجه.

ويُرتِّبون على هذا الأصل أن الناس ثلاثةُ أقسام:

منهم من قام بحقوق الإيمان كلها، فهو المؤمن حقًّا، ومنهم من تركها كلها، فهذا كافرٌ بالله تعالى، ومنهم من فيه إيمانٌ وكفرٌ، أو إيمان ونفاق، أو خيرٌ وشرٌّ؛ ففيه من ولاية الله واستحقاقه لكرامته بحسب ما معه من الإيمان، وفيه من عداوة الله واستحقاقه لعقوبة الله بحسب ما ضيَّعه من الإيمان.

عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]. فجعلهم ثلاثة أقسام، وبدأ بالظالم؛ لكثرتهم، وفسر الظالم بأنه: مَن يترك شيئًا من الواجبات، ويرتكب شيئًا من المحرَّمات. والمقتَصِد: مَن يقتَصِر على ما وجب عليه، ويمتنع عما حُرم عليه. والسابق بالخيرات: مَن يؤدي الواجبات، ويجتنب المحرَّمات، ويتقرب إلى الله ﷻ بفعل المندوبات والمستحبَّات، ويترك المكروهات بعد ترك المحرمات؛ خوفًا من الله، ورجاءً لثوابه.

وقد قسم الله الناس في هذه السورة، وكذلك في أول سورة الواقعة وفي آخرها عند الاحتضار، وهذا يدلُّ على تفاوت الناس في الإيمان؛ فكلما كان العبد أعرف بالله وأتقى، كان إيمانه أكمل وأتم كانت منزلته عند الله ﷻ أقرب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويرتبون على هذا الأصل أن الناس ثلاثةُ أقسامٍ: منهم من قام بحقوق الإيمان كلها، فهو المؤمن حقًّا، ومنهم من تركها كلها، فهذا كافرٌ بالله تعالى، ومنهم من فيه إيمانٌ وكُفر، أو إيمان ونفاق، أو خيرٌ وشرٌّ، ففيه من وَلاية الله واستحقاقه لكرامته بحَسَب ما معه من الإيمان، وفيه من عداوة الله واستحقاقه لعقوبة الله بحَسَب ما ضَيَّعه من الإيمان).

الناس على حَسَب ما يقومون به من أمر الله ﷻ، ومحبته، والعلم

. . . . . .

بأسمائه وصفاته، وطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ فمن قام بهذه الأمور كلها حسب استطاعته ـ والله لا يكلِّف نفسًا إلا وسعها؛ فقد أمر الله ﷻ بما هو سهل وميسور على كل إنسان، وإذا وَفَّق الله العبد فكلها سهلة وميسورة ـ مُخلِصًا لله ﷻ، راجيًا ربه، خائفًا من عقابه؛ فقد كَمَل إيمانه، وعَلَت درجته عند الله ﷻ، ومن ترك شيئًا منها فهو ظالم، أما إذا ترك كل ما أمر به الله ﷻ، وفعل ما نهى عنه، فهو الكافر الذي كفر بالله، وكفر برسوله ﷺ، وأما إذا كان فيه خير وشر، فهو بحَسَب ما قام به، وما غلب عليه من الخير أو الشر، وقد يكون الخير أغلب ويكون من أهل الخير، غير أنه لم يتنقَّ من آثار الذنوب، فيحتاج إلى تطهير؛ إما بالعقاب، وإما بالتوبة إذا منَّ الله ﷻ عليه، فإذا مات على ذلك فأمره إلى الله؛ إن شاء عذَّبه، وإن شاء عفا عنه بلا عقاب، ما لم يخرُجْ عن الدين، أما إذا كان مشركًا ومات على شركه، فهو في النار خالدًا فيها، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقد أخبر الله ﷻ بأن الموازين تُقام للناس يوم القيامة؛ قال ﷻ: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣]، مع أن الله لا يخفى عليه شيء، ولكنه يُحِب العذر؛ حتى لا يكون للإنسان حجة على الله، فيتبين كل البيان أنه على وَفْق حُكم الله الذي يَحكُم عليه به؛ ولهذا يقول الله ﷻ بعد انقضاء الأمر: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾ [الزمر: ٧٥]. فقوله ﷻ: ﴿وَقِيلَ﴾؛ أي: قال الخلق كلهم؛

ويُرتِّبون على هذا الأصلِ العظيمِ أن كبائرَ الذنوبِ وصغائرَها التي لا تصلُ بصاحبها إلى الكفرِ، تَنقُصُ إيمانَ العبد من غير أن تُخرِجَه من دائرة الإسلام، ولا يُخَلَّد في نار جهنم.

الذين أُكرِموا، والذين عُذبوا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ على حُكْمه وعَدْلِه.

فحقوق الإيمان تتعلق بأوامر الله ﷻ، وبطاعته، وبما يلزم له، وكذلك حقوق الناس التي تلزم من الأقارب والغرباء؛ فالمسلم أخو المسلم، لا يَظلِمُه ولا يُسْلِمُه، ولا يَحقِرُه، ويجب أن يُسلِّمَ عليه، وأن يجيب دعوته إذا دعاه، وأن ينصحه، وأن يحِبَّ له ما يحبُّ لنفسه، فمَن ترك شيئًا من الواجبات يؤخذ به يوم القيامة، ويكون مقامه وقربه من الله ورَفْع درجته، على حسَبِ ذلك.

وأما الكافر الذي ترك حق الله ﷻ، وكفر به وجحده؛ فإنه في جهنم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويرتبون على هذا الأصلِ العظيمِ أن كبائرَ الذنوب وصغائرها التي لا تصلُ بصاحبها إلى الكفرِ، تَنقُصُ إيمانَ العبد مِن غير أن تخرِجَه من دائرة الإسلام، ولا يخَلَّد في نار جهنم).

الإيمان ـ كما ذكرنا من قبل ـ قول، وعمل، وتصديق. فإذا ترك شيئًا منه نَقَص، وإذا اجتمعت هذه الأشياء فقد كَمَل الإيمان.

فالعبد على حسب ما يقوم به من الأعمال وما يقوم بقلبه من تعظيم الله وطاعته، فإن ارتكب مُخِلًّا بالإيمان ومُنقصًا له، لم يخرج من دائرة الإيمان؛ فهو مؤمنٌ بإيمانه، وفاسقٌ بكبيرته، وإن جاء بما ينافي الإيمان فقد خرج منه.

ولا يُطلِقون عليه الكفر كما تقول الخوارج، أو ينفون عنه الإيـمان كما تقوله المعتزلة، بل يقولون: هو مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر)**.

هذه تَنقُص الإيمانَ وتُضعِفُه، كما قال ﷺ: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَن تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»**[1].

فإذا أتى العبد بما يَنقُص الإيمان، فهو لا يخرج بذلك عن دائرة الإسلام، كما يقول الضُّلال من الخوارج والمعتزلة، الذين يكفِّرون المسلمين بالذنوب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولا يُخلَّد في نار جهنم)**.

من الجائز أن يدخل النار، ولكنه لا يبقى فيها، وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بدخول طوائف كثيرة من المسلمين النارَ، ثم خروجهم منها بالشفاعة وبرحمة أرحم الراحمين. ومَن يَمُتْ كافرًا تحرُمْ عليه الجنة، كما أخبرنا ربنا ﷻ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولا يُطلِقون عليه الكفر كما تقول الخوارج، أو ينفون عنه الإيـمان كما تقوله المعتزلة؛ بل يقولون: هو مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الحدود، باب لا يشرب الخمر (٨/ ١٥٧) برقم (٦٧٧٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (١/ ٧٦) برقم (٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بكبيرتِه؛ فمعه مطلقُ الإيـمانِ، وأما الإيـمانُ الـمطلقُ فيُنفى عنه.

وبهذه الأصولِ يحصلُ الإيمان بجميعِ نصوص الكتاب والسُّنةِ.

بكبيرتِه؛ فمعه مطلقُ الإيـمانِ، وأما الإيـمانُ الـمطلقُ فيُنفى عنه).

لا يجوز أن يسمى مرتكب الكبيرة كافرًا، كما تقول الخوارج الذين يُكَفِّرون بالذنوب، وكذلك إخوانهم من المعتزلة، فإنهم يُخرجونه من الإيمان، ولكن لا يُدخلونه في الكفر؛ فيجعلونه في منزلةٍ بين منزلتين! وهذا أمرٌ لا قيمة له ولا معنى، وهو أمرٌ مُختَرَع لم يسبقهم إليه أحد، ولم يوافقهم عليه أحد. لكن هذا عندهم هو حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا، أما في الآخرة فهو مخَلَّدٌ في النار.

أما أهل السُّنَّة فلا يطلقون الكفر على مرتكب الكبيرة؛ بل يُقَيِّدون إيمانه، ويقولون: مؤمنٌ ناقص الإيمان، أو مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، فيعطونه الاسم الذي يستحقه اتِّباعًا لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبهذه الأصولِ يحصلُ الإيمان بجميعِ نصوص الكتاب والسُّنةِ).

من النصوص ما يُوهِم أن فعل بعض الذنوب خروجٌ من الدين، ومنها ما يدل على أن الإنسان مؤمنٌ حتى وإن فعل شيئًا من الذنوب، فيُجمع بين النصوص؛ إذ لا تضارُبَ بين النصوص؛ لأنها كلَّها جاءت من عند الله ﷻ.

والواجب على الإنسان إذا تعارض عنده شيء من قول الله ﷻ، أو قول رسوله ﷺ: أن يتَّهِم فَهْمَه؛ لأنه لا يمكن أن يوجد تعارض بينها، فكلها حق، ولكن يجب الجمع بينها؛ حتى لا تختلف ولا تتضارب، وبهذا يَسلَمُ الإنسان من الخروج إلى أقوال أهل البدع.

ويترتَّب على هذا الأصل: أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، وأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها، وأن من ارتَدَّ ومات على ذلك فقد حبِطَ عمله،

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويترتب على هذا الأصل: أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله)**.

الإسلام يُكَفِّرُ كل خطيئة سبقته، وقد جاء في «صحيح مسلم» من حديث عمرو بن العاص أنه قال: لَـمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟**» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**» قُلْتُ: أَن يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأن التوبة تجُبُّ ما قبلها)**.

التوبة النصوح تجُبُّ ما قبلها؛ فإذا تاب الإنسان من ذنبه توبةً نَصوحًا، عاد كيومَ ولدَتْه أمُّه.

وللتوبة شروط، وهي: الإقلاع عن الذنب وتركه، ثم العزم على عدم العودة إليه، ثم الندم.

ولا يشترط أنه لا يعود إلى ذنبٍ مرةً أخرى؛ بل كلما عاد إلى ذنبٍ عاد إلى التوبة بهذه الطريقة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأنَّ مَن ارتدَّ ومات على ذلك، فقد حَبِطَ عمله)**.

فيكون من الخاسرين ومن أهل النار ـ نسأل الله العافية ـ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج (١/ ١١٢) برقم (١٢١).

ومن تابَ تابَ الله عليه.

ويُرتِّبون أيضًا على هذا الأصلِ صحة الاستثناء في الإيمان، فيصحُّ أن يقول: أنا مؤمنٌ إن شاء الله؛ لأنه يرجو من الله تعالى تكميل إيمانه، فيَستثني لذلك، .....

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومَن تابَ تابَ الله عليه)**.

أي: مَن تاب صادقًا مُقبِلًا على ربه ﷻ، فإن الله يحب التائب، وهو توابٌ رحيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويرتبون أيضًا على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان، فيصحُّ أن يقول: أنا مؤمنٌ إن شاء الله؛ لأنه يرجو من الله تعالى تكميل إيمانه، فيستثني لذلك)**.

أي: يرتبون على هذه الأصول صحة الاستثناء في الإيمان، وهو قول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ لأن المقصود بالاستثناء أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بكل أمر الله على الوجه الأكمل، كما يفعل الصحابة رضوان الله عليهم، أو كما يفعل الرسول ﷺ؛ فلا بد أن يحصل تقصير منه، فيستثني ويقول: أنا مؤمنٌ إن شاء الله.

والاستثناء ليس شكًّا في إيمانه، وإنما هو لأجل ذلك؛ ولهذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويرتبون أيضًا على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان)**.

ويقول أهل السُّنَّة أيضًا: إن الإنسان لا يقصد الاستثناء ابتداءً، ولكن إذا سُئل وقيل له: أنت مؤمن؟ يقول: مؤمنٌ إن شاء الله.

وهذا السؤال من البِدَع؛ فالناس يُترَكون على ما هم عليه، ولكن إذا وقع شيء من ذلك، فإن الاستثناء صحيح، ولا يكون شكًّا.

ويرجو الثبات على ذلك إلى الممات، فيستثني من غيرِ شكٍّ منه بحصولِ أصل الإيمان.

ويُرتِّبون أيضًا على هذا الأصل: أن الحبَّ والبغض أصله ومقداره تابعٌ للإيمان؛ وجودًا وعدمًا، وتكميلًا ونقصًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويرجو الثبات على ذلك إلى الممات فيستثني...)**.

يقول: إن شاء الله. أو يقول: أرجو أن أكون مؤمنًا. مثل قوله: مؤمنٌ إن شاء الله.

يرجو أن يَثبُت على إيمانه، وأن يزيد في مستقبل حياته في أعماله، وأن يموت على ذلك، وهذا رجاء، وهو إلى الله ﷻ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(من غير شكٍّ منه بحصول أصل الإيمان)**.

الإيمان ثابتٌ في القلب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويُرَتِّبون أيضًا على هذا الأصل أنَّ الحبَّ والبغض أصله ومقداره تابعٌ للإيمان وجودًا وعدمًا، وتكميلًا ونقصًا)**.

كلما كان إيمان العبد أكمل وطاعته لله أتم، كان أكمل وأتم حبًّا لله وفي الله، وليس حبًّا مع الله؛ لأن حبَّ الله خاص لا يجوز أن يشاركَه فيه أحدٌ من الخلق.

وقد أمر الله المؤمنين أن يتحابوا ويتوادوا فيما بينهم، وعلى النقيض من ذلك؛ تُبغض الرجل حسب ما عنده من المخالفة ومن المعصية لله تعالى، وليس لذاته؛ فيجب أن يكون الأمر كله لله ﷻ؛ حتى لا يكون العبد خاسرًا.

ويجب على المؤمن أن يكون حبه لرسول الله ﷺ أكثر من حبه

ثم يَتْبَع ذلك الوَلايةُ والعداوةُ؛ ولهذا من الإيمانِ: الحبُّ في الله، والبغضُ لله، والوَلايةُ لله، والعداوةُ لله.

لنفسه ولولده وللناس أجمعين، كما جاء في الحديث، وعلامة حبه ﷺ الحرصُ على متابعته، ونشرُ سنته صلوات الله وسلامه عليه، وتقديرُه، وتعظيمُه، والابتعادُ عن أذيته، والغضبُ لذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثم يَتْبَع ذلك الوَلايةُ والعداوةُ؛ ولهذا من الإيمانِ: الحبُّ في الله، والبغضُ لله).

الولاية والعداوة تبعٌ لهذا الأمر؛ أي: تتولى أولياء الله، وتعادي أعداء الله على حَسَب ما عندهم؛ إن خرج الرجل من الإيمان فهو عدوٌّ لله، كما قال الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨]، وقال ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

فلا يجوز أن تُواليَ عدو الله، وإلَّا تكُنْ محاربًا لله.

والكفار الآن يفعلون أشياء يريدون بها إيذاء المسلمين، ومِن ذلك رسومهم التي تسيء إلى رسول الله ﷺ، وإن كانت ليست هي رسول الله ﷺ؛ فالله يصرفهم عن رسوله ﷺ، كما قال ﷺ في قريش عندما كانوا يسبونه ويقولون له مُذمَّمًا: **«أَلَا تَعْجَبُونَ، كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟! يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ!»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (٤/ ١٨٥) برقم (٣٥٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويترتب على الإيمانُ، ولا يتمُّ إلا بأن يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه.

ومع هذا يجب أن يوقفهم المسلمون عند حدهم إذا استطاعوا ذلك، وأن يعاقبوهم؛ فمن سَبَّ الرسولَ ﷺ يجب أن يُقتَلَ على كل حال، سواء كان كافرًا أو مسلمًا، ولا تُقبَل توبته، كما أنَّ مَن يسب الله ﷻ يُقتَل ولو تاب.

فإذا كان صادقًا في توبته فأمره إلى الله، يحكم فيه كيف شاء، أما في الدنيا فهذا ما يجب فيه، كما قرَّر العلماء.

ولكن هناك أمورٌ أعظم مما يصنعه الكفار في مسبة النبي ﷺ وأذيته، وهو مَسَبَّة زوجاته، ولعْنُهن، وشتمهن، ورميُهن بالفجور وبالكفر! فهذا أعظم مما يصنعه الكفار اليوم.

فيجب على المسلم أن يعظِّمَ رسول الله ﷺ، ويَذُبَّ عن حقوقه صلوات الله وسلامه عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويترتب على الإيمانُ، ولا يتمُّ إلا بان يُحب لأخيه ما يحب لنفسه).

لا يَكمُل الإيمان إلا أن يحِبَّ لأخيه ما يحب لنفسه، وهذه مرتبة رفيعة.

لكننا نجد الآن الغش، وعدم النصح، والمعاداة والموالاة على أمرٍ من أمور الدنيا، أو على أمورٍ تافهةٍ لا قيمة لها. كل ذلك يدل على ضعف الإيمان ونقصه؛ إذ كيف يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، وهو يرى أن هذا ليس أخًا، وربما يرى أنه أخٌ للشيطان؟!

والمراد من قولنا: (الحب لله والبغض لله) أن الإنسان لا يتغير

ويترتب على ذلك أيضًا محبةُ اجتماعِ المؤمنين، والحثُّ على التآلف والتحابُبِ، وعدمِ التقاطعِ.

ويبرأ أهلُ السُّنة والجماعةِ من التعصُّبات، والتفرقِ، والتباغض،

بالجفاء والبعد وعدم تبادل المنافع؛ بل يظل كما هو، أما إذا كان الحب والبغض على المؤازرة والمعاونة على الأمور التي يتعارفون عليها، فهذا ليس لله، وإنما هو لغير الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(محبة اجتماع المؤمنين، والحثُّ على التآلف والتحابب، وعدم التقاطع)**.

لأن الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣].

فقوله ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بدينه، تمسكوا به كُلُّكم، ولا تتفرقوا فيه.

لقد نهى الله عن الاختلاف وتوعَّد عليه، وقد بيَّن الرسول ﷺ هذا غايةَ البيان؛ ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يُؤثرون إخوانهم على أنفسهم؛ حبًّا لهم، وامتثالًا لأمر الله ﷻ، وذلك لكمال إيمانهم.

والمقصود بذلك محبة الاجتماع؛ أي: اجتماع المسلمين وتعاونهم على الحق، وعدم اختلافهم، وقد أمرهم الله ﷻ بالاجتماع، ونهاهم عن التفرق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويبرأ أهل السُّنَّة والجماعة من التعصبات)**.

أي: مِن المذاهب، والأقوال، والأشخاص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والتفرق والتباغض)**.

أي: أن هذا مِن مُوجِبات غضب الله؛ لأنه معصية لله ﷻ، كما هو واضح.

ويرون أن هذه القاعدة من أهم قواعدِ الإيمان، ولا يرون الاختلافَ في المسائل التي لا تصلُ إلى كفرٍ أو بدعةٍ مُوجِبًا للتفَرُّق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويرون أن هذه القاعدة من أهم قواعد الإيمان)**.

لأن فيها القوة، وبها التآلف والتآزر، وقوة الدين، وقوة المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولا يرون الاختلاف في المسائل التي لا تصلُ إلى كفر أو بدعة مُوجِبًا للتفرق)**.

أي: أن الفهوم تختلف، ولكن يجب أن يكون الاختلاف على حسب الفهم للنص، وإذا حصل ذلك فلا يجوز أن يكون هذا مُوجِبًا للاختلاف والتباغض والتفرق والمعاداة، كما هو حاصل عند كثير من الناس.

كان الصحابة رضوان الله عليهم يختلفون في مسائل العلم، ولا يُؤثِّرُ ذلك على اجتماعِهم وتوادِّهم وتآلفِهم، ومن ذلك ما رُوِيَ في قصة بني قريظة، لما قال لهم الرسول ﷺ: **«لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»**، فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ[1].

كما تجد أيضًا أئمة الإسلام يختلفون فيما بينهم في مسائل العلم، ولكنهم متوادون متواصلون، إخوان فيما بينهم، وهذا هو الواجب، أما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجمعة، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبًا وإيماء (٢/ ١٥) برقم (٩٤٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو، وتقديم أهم الأمرين المتعارضين (٣/ ١٣٩١) برقم (١٧٧٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ويترتب على الإيمان محبةُ أصحابِ النبيِّ ﷺ بحَسَب مراتبهم وعملهم، وأن لهم من الفضلِ والسوابق والمناقب ما فَضَلوا فيه سائر الأمة.

أن يكون عدوَّه؛ لأنه خالفه في هذا، أو أن طريقته كذا وكذا، وله مسلك في كذا؛ فهذا من أمور الشياطين، ومن دواعي التفرق، وقد نَهى الله ﷻ عن التفرق، وهو ليس من طريقة أهل السُّنَّة؛ فهم لا يرون أن الاختلاف في مسائل الفروع يقدَحُ في الإيمان؛ قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، يجب أن تكون هذه عقيدةَ المسلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي ﷺ بحسب مراتبهم، وأنَّ لهم من الفضل والسوابق والمناقب ما فَضَلوا فيه سائرَ الأمة)**.

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ الصحابة؛ لأن الخلل وقع في موالاتهم وبغضهم من بعض أهل البدع؛ لِما وقع بينهم مِن قتال.

يجب أن يعلم المسلمون أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أفضل الخلق بعد الرسول ﷺ؛ قال الرسول ﷺ: «**خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[1]. وقد أثنى عليهم الله ﷻ في كتابه، وذكر أنه ﷻ رضي عنهم، والله ﷻ لا يثني على أحدٍ وهو يعلم أنه يرتدُّ؛ فهو علَّام الغيوب، تعالى وتقدس.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الشهادات، باب لا يَشهَد على شهادة جَور إذا أُشهِد (٣/ ١٧١) برقم (٢٦٥١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٤) برقم (٢٥٣٥) من حديث عِمران بن حُصين رضي الله عنه.

ويَدِينون بمحبَّتهم ونشرِ فضائلهم، ويُمسِكون عمَّا شجَرَ بينهم، وأنهم أولى الأمةِ بكل خصلةٍ حميدة، وأسبقهم إلى كل خيرٍ، وأبعدهم من كل شرٍّ.

والصحابة هم الذين تلقَّوا الإيمان والعلم عن رسول الله ﷺ، وقاموا بأمر الله ﷻ، وجاهدوا في سبيله ﷻ، وصاروا هم الواسطة بيننا وبين رسولنا ﷺ بتبليغ الدين، فلا يبغضهم إلا حاقد موتور، وإلا كافر ظاهر الكفر والضلال.

ويجب أن يُحَبُّوا على حَسَبِ مراتبهم في الفضل والقرب من الله ﷻ؛ فأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه، ثم بقية أصحاب بيعة الرضوان، ثم سائرهم رضي الله عنهم أجمعين.

فكلهم أهل فضائل، ولا يصل أحد إلى ما وصل إليه أدناهم ممن لم تسبِقْ له الحسنى.

قوله رحمه الله: **(ويَدِينون بمحبتهم ونشر فضائلهم)**.

إذ لو كان في الأمة بعدهم شيء من الخير ما فعلوه، لكان هم أولى به، لو كان خيرًا لسبقونا إليه، فهم أهل السوابق وأهل الفضائل، وهم الذين خصهم الله ﷻ بصحبة نبيه ﷺ؛ فهذه مزيَّة لهم لا توجد لأحد، وهم كذلك أعلم بالله ﷻ، وهم أكثر فهمًا وعلمًا ممن جاء بعدهم، وهم أقل تكلفًا وأكثر طاعة لله ﷻ، ولرسوله ﷺ، وهم يتسابقون إلى مرضاته وإلى تنفيذ ما أمرهم الله به؛ فهم إلى كل خيرٍ أقرب، وعن كل شرٍّ أبعد من غيرهم، فهذا ما يجب على العبد اعتقاده بهم رضوان الله عليهم.

قوله رحمه الله: **(ويُمسِكون عما شَجَر بينهم، وأنهم أولى الأمة بكل خصلةٍ حميدة، وأسبقهم إلى كل خيرٍ، وأبعدهم من كل شرٍّ)**.

ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمامٍ يُقيم لها دينها ودنياها، ويَدفَعُ عنها عاديةَ المعتدين، ولا تتمُّ إمامته إلا بطاعته في غير معصيةِ الله تعالى.

ويرون أنه لا يتمُّ الإيمان إلا بالأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكرِ؛ باليدِ، وإلا باللسان، وإلا فبالقلب، على حَسَبِ مراتبه الشرعية، وطُرُقه المَرْعيَّة.

يجب الإعراض عما وقع بينهم من الخلافات، فلا يجوز كتابتها، ولا قراءتها، ولا نشرها، ولا ذكرها؛ لأنه ليس وراء ذلك شيء، إلا أن توجِد في النفوس شيئًا من الأمور التي تؤدي إلى العواقب السيئة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمامٍ إمامٍ يُقيم لها دينها ودنياها، ويَدفَعُ عنها عاديةَ المعتدين، ولا تتم إمامته إلا بطاعته في غير معصيةِ الله تعالى).

لا بد للمسلمين من إمام يقيم الحدود، ويجاهدون معه، ويجب أن يطيعوه، ودون طاعته لا يكون إمامًا.

لهذا كانت طاعة الإمام واجبةً، وهي من الدين، حتى وإن عصى أو خالف أو ظلم؛ فلا يجوز الخروج عليه، ولا أن يُرفع عليه سلاحٌ، أو تُشَق عصا؛ بل يجب أن يُطاع ويتابع في ذلك. والله ﷻ هو الذي يحاسبه على أفعاله، أما المعصية فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويرون أنه لا يتمُّ الإيمان إلا بالأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر؛ باليد، وإلا باللسان، وإلا فبالقلب، على حسب مراتبه الشرعية، وطُرُقه المَرْعِيَّة).

.....

لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الأمر بالمعروف يدخل فيه تعليم العلم، والنصح للناس، ويدخل فيه كل خير.

وقد جاء المصطفى ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن رحمة الله ﷻ أنه جعل ذلك على حسب الاستطاعة، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١).

أي: على حسب ما عند العبد، وإذا كان الإنسان مقصِّرًا في هذا، فذلك دليل على ضعف إيمانه.

والأمر بالمعروف لا يكون إلا بشيءٍ أمر به الشرع، أما أن يأمر بشيءٍ يتعارف عليه الناس، دون أن يكون له دليل من الشرع؛ فهذا ليس من المعروف. ومثل ذلك النهي، فيجب أن يكون ذلك عن علم، كما قال الله ﷻ آمرًا نبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فأتباعه يَدْعُون كما يدعو، ولا بد للمسلم أن يكون له إرثٌ من رسول الله ﷺ، وإلا كان من الخاسرين.

فأهل السُّنَّة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويكفُّون الأذى مهما استطاعوا.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (١/٦٩) برقم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وبالجملةِ فيَرَون القيام بكل الأصول الشرعية على الوجه الشرعيِّ من تمام الإيمان والدين. ومن تمامِ هذا الأصل طريقهم في العلمِ والعملِ.

وقد عدَّ بعض العلماء ذلك من أركان الإسلام، فجعلها ستة أركان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وبالجملةِ، فيَرَون القيام بكل الأصول الشرعية على الوجه الشرعيِّ من تمام الإيمان والدين)**.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وبالجملة)**؛ أي: أن هذه المذكورات ليست هي كل ما يجب، ولا كل ما يُترَك؛ بل يجب العلم بما جاء به الرسول ﷺ والقيام به، سواء ما كان يخص العبد، أو ما كان فيه نفع للغير.

والخلاصة: أن المؤمن يجب أن يكون قائمًا بحقوق الله، وبحقوق عباده؛ حتى يَكمُل إيمانُه.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصلُ الخامسُ

طريقهم في العلمِ والعملِ

وذلك أن أهلَ السُّنَّة والجماعةِ يعتقدون ويلتزمون أنْ لا طريقَ إلى الله وإلى كرامته إلا بالعلمِ النافع والعمل الصالح.

فالعلم النافع: هو ما جاء به الرسول ﷺ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيجتهدون في معرفةِ معانيها، والتفقه فيها أصولًا وفروعًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأصلُ الخامسُ: طريقهم في العلمِ والعملِ).

طريقهم في العلم والأخذ هو الرجوع إلى الأصل؛ أي: أنهم يتَّبعون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليس لهم مصدرٌ يرجعون إليه إلا هذا؛ فأصولهم راجعة إلى ما جاء به الرسول ﷺ.

وليس معنى ذلك أنه لا يحصل منهم تقصير، أو لا يحصل منهم اختلافات في المفاهيم؛ فقد فاوت الله ﷻ بين خلقه بالمفاهيم.

كما أنهم يدينون بنشر العلم وفضائل الأعمال، ويَدْعون إليها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالعلم النافع: هو ما جاء به الرسول ﷺ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيجتهدون في معرفة معانيها والتفقه فيها أصولًا وفروعًا).

هذا مِن الأصول التي يجب أن يسلكها طالب العلم؛ فالعلم الحقيقي النافع هو الذي يوصلك إلى سعادة الدنيا والآخرة، وهذا لا

ويسلكون جميعَ طرق الدلالات فيها؛ دلالةِ المطابقةِ، ودلالةِ التضمُّن، ودلالةِ الالتزام، .....

يكون إلا بعلم الكتاب والسُّنَّة، أما العلوم الأخرى فهي تَبَعٌ له، فإذا عرف الإنسان دينه، وعرف ربه، وعرف كيف يعبد ربه؛ جاز له أن يتعلَّم العلوم الأخرى التي يترتب عليها قوة المسلمين وحاجتهم، مثل: علم الهندسة، وعلم الطب، وعلم الزراعة، وغيرها؛ إذ يجب ألَّا يحتاج المسلمون إلى الكفار لسد احتياجاتهم؛ بل يجب أن يكون لديهم ما يسد حاجتهم، ويغنيهم عن اللجوء إلى الكفار، وأن يكون لديهم من القوة ما يحافظ على هيبتهم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ولكن يجب أن تكون النية في هذا هي القيام بأمر الله، وطاعته، وطاعة رسوله ﷺ.

ويجب عليهم أن يتحابُّوا ويتوادُّوا فيما بينهم، وأن يتعاونوا على الخير وعلى ما اجتمعوا عليه، ولا يكون اختلافُهم في كون فلانٍ أعلَمَ من فلان أو أفقه منه: مدعاةً للتفرق والتنافر.

قوله رحمه الله: (ويسلكون جميع طرق الدلالات فيها: دلالة المطابقة، ودلالة التضمُّن، ودلالة الالتزام).

يسلكون طريق العلم بتطبيق المنهج الصحيح، والنظر إلى الدلالات.

والمقصود بدلالة المطابقة: أن يكون المعنى مطابقًا للفظ.

أما دلالة التضمن: أن يكون المعنى ضمن هذا اللفظ.

أما دلالة الالتزام: أن يلزم المعنى من هذا اللفظ.

وهذه المسائل من أصول الفقه التي لها فروع كثيرة، وتفصيلها في كتب أصول الفقه، وفي قواعد الفقه.

ويبذلون قواهم في إدراكِ ذلك بحسَبِ ما أعطاهم الله.

ويعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة، هي وما تفرع عليها من أقْيِسَةٍ صحيحةٍ ومناسبات حُكْمِيَّةٍ. وكل علم أعان على ذلك أو وازره أو ترتَّب عليه فإنه علمٌ شرعيٌّ، كما أن ما ضادَّه وناقضه فهو علمٌ باطل؛ فهذا طريقهم في العلمِ.

فيجب على طالب العلم أن يسلك الطرق التي مهَّدها العلماء ورتبوها؛ حتى يكون الأمر سهلًا وميسورًا له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسَب ما أعطاهم الله)**.

أي: يبذلون فُهومهم وأفكارهم وقوة أبدانهم في هذا الأمر؛ لأن هذا جهادٌ في سبيل الله، وهو طاعةٌ لله ﷻ.

ويَسبِق هذا كُلَّه إخلاصُ النية، وأن يراد بذلك التقربُ إلى الله ﷻ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(يعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة، هي وما تفرع عليها من أقيسةٍ صحيحةٍ ومناسبات حُكْمِيَّةٍ. وكل علم أعان على ذلك أو آزره أو ترتَّب عليه فإنه علمٌ شرعيٌّ، كما أنَّ ما ضادَّه وناقضه فهو علمٌ باطل، فهذا طريقهم في العلمِ)**.

العلوم النافعة هي التي يُحَضُّ على معرفتها؛ إذ دَلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة.

وأهل السُّنَّة وَسَط في هذه الطرق التي تُسلك، كما أنهم وَسَطٌ في الأمة، وهم الذين هداهم الله الصراط المستقيم.

(وكل علم أعان على ذلك) فإنَّه داخل في هذا؛ مثل: علم النحو، وعلم البلاغة.

وأما طريقهم في العملِ فإنهم يتقرَّبون إلى الله تعالى بالتصديقِ والاعترافِ التامِّ بعقائدِ الإيمان التي هي أصلُ العبادات وأساسها.

ثم يتقرَّبون له بأداءِ فرائضِ الله المتعلقةِ بحقه وحقوق عباده، مع الإكثارِ من النوافلِ، وبترك المحرَّماتِ والمنهيات؛ تعبدًا لله تعالى.

وقوله: (أو ترتَّب عليه)؛ أي: أنه يترتب على وجوده هذا الشيء؛ مثل: علم الزراعة، وعلم الطب، وعلم الهندسة، وعلم الصناعة، وغير ذلك؛ فإنه يكون شرعيًّا، ويُثاب الإنسان عليه مع حصول النية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأما طريقهم في العمل)**.

أي: أنَّ العمل يكون مُلازِمًا للعلم ولا ينفصل عنه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإنهم يتقرَّبون إلى الله تعالى بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات وأساسها...)**.

لا سعادة إلا بالذل لله ﷻ، والخشوع له، والخوف منه، واجتناب المحرمات؛ خوفًا من الله ﷻ، ورجاءً لثوابه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ثم يتقرَّبون له بأداء فرائض الله المتعلقةِ بحقِّه وحقوق عباده، مع الإكثار من النوافل)**.

أي: يتقربون إلى الله بأداء الفرائض، ويقومون بحقوق الله ﷻ التي تلزمهم في أنفسهم، وفيما تحت أيديهم، وكذلك حقوق العباد، ويُكثِرون من النوافل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وبترك المحرمات والمنهيات؛ تعبدًا لله تعالى)**.

ويعلمون أن الله تعالى لا يقبلُ إلا كلَّ عملٍ خالصٍ لوجهه الكريم، مسلوكًا فيه طريقُ النبيِّ الكريم، ويستعينون بالله تعالى .....

يجتنبون المحرمات والمنهيات من المكروهات طلبًا لمرضاة الله ﷻ، ورجاءً لكرمه، وجوده، والدرجات التي يرفع بها من يشاء من عباده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويعلمون أن الله تعالى لا يقبلُ إلا كلَّ عملٍ خالصٍ لوجهه الكريم)**.

لا يقبل الله ﷻ مِن الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه، كما قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فيجب أن يكون العمل موافقًا للأمر الذي جاء به الرسول ﷺ، وخالصًا لله ﷻ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مسلوكًا فيه طريقُ النبيِّ الكريم ﷺ)**.

يسلكون مسلك السلف الصالح من الصحابة؛ لأنهم على الهَدْي المستقيم، ويَحرِصون كل الحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويستعينون بالله تعالى)**.

يستعينون بالله في جميع أمورهم، كما قال الله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥].

فعبادة الله ﷻ لا تحصل إلا بإعانته ﷻ؛ فالعبد ضعيف، وإن لم يكن له عون من الله فأوَّلُ ما يجني عليه أعماله وأقواله وأفعاله التي تصدُرُ منه.

في سلوكِ هذه الطرقِ النافعة التي هي العلمُ النافعُ والعمل الصالح الموصل إلى كل خيرٍ وفلاح، وسعادةٍ عاجلة وآجلة.

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (سلوك هذه الطرق النافعة التي هي العلمُ النافعُ والعمل الصالح الموصل إلى كل خيرٍ وفلاح، وسعادةٍ عاجلةٍ وآجلة).

يقومون بالأعمال الزكية من الأخلاق الفاضلة، والمسامحات، والعفو عن الظالم، وبذل المعروف، وغير ذلك مما أمر به الله ﷻ، وأمر به الرسول ﷺ.

وطُرقهم في هذا اتباعهم كتابَ الله ﷻ، وسُنَّةَ رسوله ﷺ؛ فقد كان خُلُقُه ﷺ القرآنَ، وهو على خُلُقٍ عظيم، وكان يعفو ويصفح إذا كان الأمر يتعلق به، أما إذا كان الأمر يتعلق بالله، فلم يكن أحد يستطيع أن يواجهه أو يقاوم غضبه إذا غضب لله، حتى ينتقم لله ﷻ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلم على محمدٍ وعلى آله وصحبه، وسَلَّم تسليمًا كثيرًا).

الحمد لله رب العالمين الذي علَّم وأكرم بالإسلام، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله؛ نبيِّنا محمدٍ.

فهرس شرح كتاب أصول العقائد الدينية

الموضوع	الصفحة
مقدمة المعتني	٧
التوحيد لا يختلف، لكن الذي يختلف هو أساليب العلماء وترتيبهم وتبويبهم	١٢
أراد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن يجعل أصولًا كليةً، وليست جامعة للعقيدة كلها، وإنما حصرها في خمسة أشياء	١٤
هذه المخلوقات المشاهدة جعلها الله دليلًا على وجوب عبادته	١٦
إذا وقع الإنسان في الشرك ومات عليه، فهو في النار دون قيد أو شرط، أتاه الرسول أو لم يأته	١٧
العقائد يجب أن تؤخذ من كتاب ربنا ﷻ، ومن إيضاح وبيان رسولنا ﷺ	١٨
هناك أشياء كثيرة جداً لم يذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن هذا مختصر اختصاراً مبالغاً فيه، وهو شبه الفهرس لهذا العلم	١٩
من عنده الإيمان الثابت واليقين الذي لا يتزعزع إذا مات على الإيمان، فهو في سعادة	٢٠
ثمرة العلم والإيمان: أن يرغب فيما عند الله ﷻ، ويكون أرغب فيما عند الله مما في يده من حظوظ الدنيا، وأوثق من ذلك	٢٠
الأصل الأول: التوحيد	
يجب على الإنسان أن يعرف ما العبادة؟ وما التأله؟	٢٣
الله ﷻ فطر عباده على أنه في العلو، فوق كل شيء	٢٤
اختار كثير من العلماء المحققين كلمة «التوحيد» بدل «العقيدة» وهذا هو الصحيح	٢٩
توحيد المتابعة أو توحيد الحاكمية، كما يقول بعض الدعاة وبعض العلماء! هذا من باب التفصيل الذي لا داعي له	٣٢

الموضوع	الصفحة
الشرك كله شيٌ واحد؛ لا فرق بين كون الإنسان يُشرك بعبادة الشيطان، أو بعبادة جبريل عليه السلام	٣٣
دلائل التوحيد كثيرة جداً، وهي ظاهرة لا خفاء فيها	٣٤
قسم العلماء الرزق إلى قسمين	٣٨
تعطيل الملاحدة نوعان	٤٢
الفرق بين الأسماء والصفات	٤٣
لا بد للعبد الذي يؤمن بالقضاء والقدر أن يؤمن بأمور أربعة	٤٩
أدلة العلو عقلية وفطرية وشرعية، أما الاستواء فأدلته شرعية فقط	٥٦
علو الله ﷻ على خلقه، واستوائه على عرشه	٥٩ ـ ٦٣
العرش هو سقف المخلوقات، وليس فوق العرش مخلوق	٦٢
صفات الله ﷻ قسمان	٦٤ ـ ٦٥
الرحمة تنقسم إلى قسمين	٦٧
القاعدة عند أهل السنة: أن الله له صفات ذاتية، وصفات فعلية، وهذا لا يوجد عند أهل البدع	٦٨
أقسام التشبيه	٦٩
أقسام تسلسل الحوادث	٧٢ ـ ٧٤
معنى قوله: «منه بدأ وإليه يعود»	٨١
كلام الله له أربع مراتب	٨٤
قرب الله ﷻ على نوعين فقط	٨٤ ـ ٨٥
العلو له ثلاثة معانٍ	٨٦
التأويل له ثلاثة معانٍ	٨٨
القدرية فرقتان	٨٩ ـ ٩٠
الهداية قسمان	٩١
الشرك الأصغر: هو كل وسيلة قريبة يتوصل بها إلى الشرك الأكبر.. هذا تعريف تقريبي، وليس تعريفًا جامعًا مانعًا	٩٥

الموضوع | الصفحة

الأصل الثاني: الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عمومًا، ونبوة محمدٍ ﷺ خُصُوصًا

معرفة الرسول ﷺ تكون بالنظر في سيرته وفي حياته. ١٠٠

الوساطة بين الله وبين الخلق نوعان ١٠١

اختلف الناس في - قصة الغرانيق - إلى ثلاث فرق ١٠٦ - ١٠٨

المحبة نوعان ١٠٩

الدجال له معنيان ١١٣

من تمام إيمان المرء أن يُسَلِّم لشرع الله ﷻ ويعلم أنه الحق ١١٨

الأصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر

النفخ في الصور يكون مرتين، على القول الراجح، مرةً للإماتة، ومرةً للإحياء. ١٢١

القول الصحيح في أصحاب الأعراف: أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ١٢٤

الأصل الرابع: مسألة الإيمان

الإيمان أمورٌ ثلاثة ١٢٧

إذا أتى العبد بما ينقص الإيمان، فهو لا يخرج بذلك عن دائرة الإسلام، كما يقول الضُلال من الخوارج والمعتزلة، الذين يكفرون المسلمين بالذنوب ١٣٥

أهل السنة لا يطلقون الكفر على مرتكب الكبيرة، بل يُقيِّدون إيمانه ١٣٦

يجب على المسلم أن يعظِّم رسول الله ﷺ، ويَذُبَّ عن حقوقه ﷺ ١٤١

أئمة الإسلام يختلفون فيما بينهم في مسائل العلم، ولكنهم متوادون متواصلون، إخوان فيما بينهم، وهذا هو الواجب ١٤٣

يجب أن يعلم المسلمون أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أفضل الخلق بعد الرسول ﷺ ١٤٤

طاعة الإمام واجبة، وهي من الدين، حتى إن عصى أو خالف أو ظلم؛ فلا يجوز الخروج عليه، ولا أن يُرفع عليه السلاح أو تُشق عصا؛ بل يجب أن يُطاع ويتابع في ذلك ١٤٦

أهل السنة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويكفُّون الأذى مهما استطاعوا ١٤٧

الموضوع الصفحة

المؤمن يجب أن يكون قائماً بحقوق الله، وبحقوق عباده، حتى يَكمُل إيمانُه ١٤٨

الأصل الخامس: طريقهم في العلم والعمل

العلم الحقيقي النافع هو الذي يوصلك إلى سعادة الدنيا والآخرة ١٤٩

يجب على طالب العلم أن يسلك الطرق التي مهَّدها العلماء ورتبوها؛ حتى يكون الأمر سهلاً وميسورًا له ١٥١